الجهاد أو النفاق!

تأصيل علمي لمشروعية الجهاد الداخلي
والخارجي، وكشف شبهات جماعة "مش وقته"!

للشيخ محمد بن ياسر بن مسعود
(أبي عمار الحضرمي)

ضمن سلسلة: "فاعلم أنه لا إله إلا الله" الرسالة الخامسة

بيت المقدس



1443 هـ 2021 م

Baytalmaqdiss44@gmail.com

بيت المقدس

ضمن سلسلة: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾

الرسالة الخامسة (٥)

الجهاد أو النفاق!

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾

(تأصيل علمي لمشروعية الجهاد الداخلي والخارجي، وكشف شبهات جماعة "مش وقته"!)

بقلم:

محمد بن ياسر بن مسعود

(أبي عمار الحضرمي)

- تقبله الله -

بيت المقدس

الفهرس

مقدمة الناشر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد..

نضع بين أيديكم -قراءنا الكرام- الرسالةَ الخامسة من سلسلة: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، وهي بعنوان: **"الجهاد أو النفاق؟!"**، وقد كتبها الشيخ المجاهد: أبو عمار الحضرمي - رحمه الله-، وقد فيها تأصيلًا علميًّا لمشروعية الجهاد الداخلي والخارجي، وكشف شبهات جماعة"مش وقته"!.

وقد تولت "مؤسسة بيت المقدس" تنسيق الكتاب وضبط آياته ونصوصه، ونشره كإضافة مهمة للمكتبة الجهادية والإسلامية.

سائلين الله عز وجل أن يكتب دم أجر كاتبه ويتقبل شهادته، وأن ينفع بجهده ويجزيه عن أمة الإسلام خير الجزاء.

هذا والحمد لله رب العالمين.

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وسلم تسليما.

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

المقدمة

إلى إخواني المجاهدين الموحدين المرابطين... إلى إخواني الموحدين المأسورين... إلى إخواني الموحدين في كل مكان... في أفغانستان... وفي باكستان... في القوقاز... وفي كشمير... في الشام... وفي مصر... في المغرب الإسلامي... وفي نيجيريا... في الصومال... وفي جزيرة العرب... وفي كل مكان... إلى كل من حمل السلاح وأعد العدة من أجل الجهاد... إلى كل من قاتل الكفار والمرتدين والمنافقين... أنتم أمل الأمة – بعد الله عز وجل– أنتم الطائفة المنصورة–بإذن الله– فالثبات الثبات حتى الممات... ففي هذا الطريق ليس عندكم ما تخسرونه: أنتم بين إحدى الحسنيين: نصرٍ أو شهادة! فالمنيّة ولا الدنية...! ولضربة بسيف في عزّ... خير من ضربة سوط في ذل!

قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥].

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى عند هذه الآية: "ما صلة الفقه بالغلب في ظاهر الأمر؟ إنها صلة حقيقية، وصلة قوية.. إن الفئة المؤمنة إنما تمتاز بأنها تعرف طريقها، وتفقه منهجها، وتدرك حقيقة وجودها وحقيقة غايتها.. إنها تفقه حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية؛ فتفقه أن الألوهية لا بد أن تنفرد وتستعلي، وأن العبودية يجب أن تكون لله وحده بلا شريك، وتفقه أنها هي – الأمة المسلمة – المهتدية بهدى الله، المنطلقة في الأرض – بإذن الله – لإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده؛ وأنها هي المستخلفة في الأرض؛ الممكنة فيها لا لتستعلي هي وتستمتع ولكن لتعلي كلمة الله، وتجاهد في سبيل

الله؛ ولتعمر الأرض بالحق؛ وتحكم بين الناس بالقسط؛ وتقيم في الأرض مملكة الله التي تقوم على العدل بين الناس.. وكل ذلك فقه يسكب في قلوب العصبة المسلمة النور والثقة والقوة واليقين؛ ويدفع بها إلى الجهاد في سبيل الله في قوة وفي طمأنينة للعاقبة تضاعف القوة. بينما أعداؤها (قوم لا يفقهون) قلوبهم مغلقة، وبصائرهم مطموسة؛ وقوتهم كليلة عاجزة مهما تكن متفوقة ظاهرة، إنها قوة منقطعة معزولة عن الأصل الكبير!"اهـ.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: "قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد: أرأيت إن قتلت فأين أنا؟ قال: (في الجنة) فألقى تمرات في يده ثم قاتل حتى قتل" [رواه البخاري ومسلم].

وعن أنس رضي الله عنه: أن رجلا أسود أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إني رجل أسود، منتن الريح، قبيح الوجه، لا مال لي، فإن أنا قاتلت هؤلاء حتى أقتل، فأين أنا؟ قال: في الجنة، فقاتل حتى قتل، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (قد بيض الله وجهك، وطيب ريحك، وأكثر مالك، وقال لهذا أو لغيره: لقد رأيت زوجته من الحور العين، نازعته جبة له من صوف، تدخل بينه وبين جبته) [رواه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال الذهبي: على شرط مسلم، وصححه أيضاً في تاريخ الإسلام، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب].

ففي الحديثين: استيثاق الصحابة من أن طريق القتال الذي يسلكونه خاتمته الجنة، لقوله: "فإن أنا قاتلت هؤلاء حتى أقتل، فأين أنا؟" ففيه ضرورة أن يكون الموحد المجاهد على بينةٍ من أمر قتاله... على بينةٍ وعلم بحكم الجهاد وفضله ورفعة منزلته؛ ورحم الله سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إذ يقول "الذي يعمل بغير علم يفسد أكثر مما يُصلح".

ففي هذا الزمن الذي كثرت فيه الفتن ونحيت فيه شريعة الله وتسلط فيه المجرمون – من العرب والعجم– على المسلمين، ما الحل يا قوم أمام الدماء التي تسيل.. والأنفس التي تزهق.. والأعراض التي تنتهك.. والأموال التي تسلب.. والأرض التي تغتصب.. والدين الذي يهان؟؟! ما هو المشروع العملي الواقعي الشرعي الذي يعيد للأمة المسلمة حقوقها ويرد لها كرامتها ويرهب به أعدائها ويعيد لها خلافتها على منهاج النبوة؟!

نجد أن المشاريع العملية التغييرية في المنطقة انقسمت إلى ثلاث مشاريع:

المشــروع الأول (مشــروع الــروم): (المشــروع الأمريكــي والغــربي الــديمقراطي) وتحتــه جميــع الأنظمــة والأحــزاب الديمقراطيــة (ســواء منهــا الإخوانيــة أو الســلفية!) (أنصــار الشــرعية الدولية)..

المشــروع الثــاني (مشــروع فــارس): (المشــروع الإيــراني الصــفوي) وتحتــه الحركــة الحوثيــة في اليمن.

المشــروع الثالــث (مشــروع المســلمين): (الخلافــة الراشــدة)، (أنصــار الشــريعة الإســلامية) - القائم على جهاد اللسان والسنان-.

وأمــا باقــي المشــاريع: فهــي إمــا بــين: (أجــادب أمســكت المــاء فنفــع الله بهــا النــاس فشــربوا وســقوا وزرعــوا) كمركــز علمــي أو جمعيــة خيريــة أو رعايــة أرامــل وأيتــام... لا تُرجــع حقــا ولا تفــك معــتقلا ولا تُنصــف مظلومــا ولا تُرهــب عــدوا! وإمــا (هــي قيعــان لا تمســك مــاء ولا تنبــت كــلأ) نســأل الله العافيــة والســلامة، فالأمــة تحتــاج إلى فعّــالين أكثــر ممــا تحتــاج إلى قــوّالين! وإلى فصــيح الســنان لا إلى فصــيح اللســان! ونبينــا صــلى الله عليــه وســلم بشــرنا بالخلافــة الراشــدة، ولــن يهيــئ لــذلك ولــن يكــون ذلــك إلا علــى أيــدي المجاهــدين الموحــدين نســأل الله أن يجعلنــا منهم بمنه وكرمه..

فعــن حذيفــة رضــي الله عنــه قــال: قــال رســول الله صــلى الله عليــه وســلم: (تكــون النبــوة فــيكم مــا شــاء الله أن تكــون ثم يرفعهــا إذا شــاء أن يرفعهــا ثم تكــون خلافــة علــى منهــاج النبــوة فتكــون مــا شــاء الله أن تكــون ثم يرفعهــا إذا شــاء الله أن يرفعهــا ثم تكــون ملكــا عاضــا فيكــون مــا شــاء الله أن يكــون ثم يرفعهــا إذا شــاء أن يرفعهــا ثم تكــون ملكــا جــبريا فتكــون مــا شــاء الله أن تكــون ثم يرفعهــا إذا شــاء أن يرفعهــا ثم تكــون خلافــة علــى منهــاج النبــوة ثم ســكت) [رواه أحمد وصححه العراقي وحسنه الألباني].

وعــن أنــس بــن مالــك رضــي الله عنــه قــال: "إنهــا ســتكون ملــوك ثم جبــابرة ثم الطواغيــت" [مصنف ابن أبي شيبة].

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله" [رواه مسلم].

وإن من أهم أسباب الطبع على القلوب وحرمان الفقه، وسلب الفهم والعلم، والتخبط في مهاوي الجهل والعماية والضلال؛ القعود والتخلف عن نصرة هذا التوحيد والتضحية من أجله، كما قال تعالى: ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨٧]، وقال: ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٩٣].

وكما أنّ للكفر أنصار يحمونه ويدافعون عنه ويقاتلون في سبيله وهم أوليّاء الشّيطان، فإنّ للإيمان أنصار يحمونه ويدافعون عنه ويقاتلون في سبيله وهم أولياّء الرّحمن-نسأل الله أن يجعلنا منهم- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦)﴾.

إن الرأسماليين والعلمانيين والشيوعيين والمنافقين وغيرهم، ومن خلال المعطيات المادية في الوقت الحاضر، يعتبرون صمود (المجاهدين الموحدين) على منهجهم نوعاً من الجنون الذي سيؤدي بهم لأن يصبحوا مستحثات تاريخية منقرضة تعرض في متاحف لندن —بزعمهم-! وقد يكونوا مصيبين، فيما لو كان المجاهدون يستمدون قوتهم من الأرض، فموازين القوة المادية ظاهرة للعيان، ولا نحتاج لمن يذكرنا بالأسلحة النووية والكيمائية والبيولوجية والأقمار الاصطناعية والصواريخ العابرة للقارات التي يمتلكها الغرب. لكن المجاهدين يستمدون قوتهم من السماء، ويقينهم بنصر الله لا يقل عن يقينهم بالله جل جلاله! كيف لا والله تعالى يقول في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

ويقول: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

ويطمئن عباده أن الخيار الثاني، أي فناءهم وتبدد منهجهم، مستحيل بكلامه ووعده: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ

الَّـذِينَ مِـن قَـبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّـنَنَّ لَهُـمْ دِيـنَهُمُ الَّـذِي ارْتَضَـى لَهُـمْ وَلَيُبَـدِّلَنَّهُم مِّـن بَعْـدِ خَـوْفِهِمْ أَمْنًـا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

ويقـول صـلى الله عليـه وسـلم: (لا تـزال طائفـة مـن أمـتي على الحق ظاهرين لا يضرهم مـن خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك) [متفق عليه].

وقـال صـلى الله عليـه وسـلم: (الخيـل معقـود بنواصـيها الخـير إلى يـوم القيامـة الأجـر والمغـنم) [رواه البخاري].

فهــذان الحــديثان يــدلان علــى وجــود المســلمين الصــادقين والمجاهــدين إلى يــوم القيامــة واستمرار وجودهم في كل الظروف.

قـال الحـافظ ابـن حجـر رحمـه الله في (**الفـتح**): "وفيـه – أي حـديث الخيـل – بشـرى ببقـاء الإسـلام وأهلـه إلى يـوم القيامـة؛ لأن مـن لازم بقـاء الجهـاد بقـاء المجاهـدين وهـم المسـلمون، وهو مثل الحديث الآخر: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق)" أهـ.

إذاً فالمسـألة مـن وجهـة نظـر المجاهـدين محسـومة، ثبـاتهم علـى المـنهج لا يمـنحهم إلا خيـاراً واحـداً، هـو البقـاء وظهـور المـنهج، أمـا الخيـار الثـاني فهـو منسـوخ بكـلام الله تعـالى وكـلام نبيـه صــلى الله عليــه وســلم... مــن هنــا يصــطدم المجاهــدون بالإخــوان والجــاميين، وبالأنظمــة الحــاكمة، وبأمريكــا والغــرب... المجاهــدون يضــعون كــل هــؤلاء في كفــة، ويضــعون في الكفــة الأخرى ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إن الله قوي عزيز﴾ [المجادلة: ٢١].

فتطـيش هــذه الآيــة بكــل أعــدائها ﴿وَاللَّهُ غَالِــبٌ عَلَــى أَمْــرِهِ وَلَكِــنَّ أَكْثَــرَ النَّــاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

وإني أكتـب إلـيكم هـذه الـ (**الكلمـات في الجهـاد**) في كيفيـة تحقيـق (لا إلـه إلا الله) في واقـع الحيـاة وإزالـة هـؤلاء الطواغيـت الجـاثمين علـى صـدور الأمـة! مسـتندا إلى كتـاب الله وسـنة رسـوله صـلى الله عليـه وسـلم وإجمـاع وأقـوال أهـل العلـم المعتـبرين-الأولـين مـنهم والآخـرين- مـؤملا مـن الله أن يكـون **مرجعـا مختصـرا لإخـواني الموحـدين – علمـا وعمـلا ودعـوة ومـذاكرة ومنــاظرة – لمعرفـة** أسـاس ديـنهم الـذي أنزلـه الله علـى رسـوله صـلى الله عليـه وسـلم، وليكونـوا

على بصيرة من دينهم وليردّوا على شبهات شياطين الإنس والجن الذين يصدون عن سبيل الله، وجعلته على شكل رسائل قرآنية؛ ليسهل فهمها ومذاكرتها... وإن كان هناك من جديد في هذه الرسالة فهو تدبر بعض آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية على فهم الصحابة رضي الله عنهم وتنزيلها على واقعنا المعاصر وإن كان ذلك مخالفا للـ (أكابر) والـ (معظمين)! ولذلك لا تستغرب عندما ترى جهل هؤلاء (الأكابر) و (المعظمين) البعيدين من كتاب الله وتدبره عندما يستغربون المواقف العظيمة -في ميزان الله- للمجاهدين الموحدين وثباتهم على دينهم... فهؤلاء لو حضروا إبراهيم عليه السلام وقد كسر الأصنام لكتبوا فيه تقريعاً ولوماً! ولو حضروا أهل الأخدود لقالوا: إن لهم من الرخص ما يحل لهم الكفر والخروج من الملة! ولضحكوا بملء أشداقهم استهزاءً بقول الرضيع لأمه: "يا أماه اصبري فإنك على الحق" ولقالوا: لم يعد إلا أن تطيع (الحركة) أقوال الأطفال! ولو حضروا الخندق في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لكانوا مع القائلين: ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾! فالله أنزلَ الكتابَ ليُعملَ به في الواقعِ ويُنزّلَ عليهِ، ويُحكّم في أفعال الناس وأقوالهم، ويُستنار به فيما يحدثُ من أحداثٍ.

والبيانُ الَّذي أخذه الله على العلماءِ كما يشملُ الصدع بالحق والآياتِ والبيّناتِ، يشملُ تنزيلها على الواقع وبيان حكم الله فيها، وإلاّ فالآياتُ محفوظةٌ في القراطيس والصدور، والأحاديث مزبورةٌ في الصحاح والمسانيد، فما يفعل العالم وما الحاجة إليه، إن لم يصدع بحكم الله في واقعه ويبيّنْ ما أمر الله به وينزّله في مواضعِهِ؟!

فما كان من صواب فمن الله وحده وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منهما... نسأل الله الهداية والسداد... "اللهم رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، فاهدنا إلى ما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم". وندعوا بما دعا به ابن حزم رحمه الله [في سير أعلام النبلاء ١٨/٢٠٦]:

مُنايَ من الدنيا عُلومٌ أبُثها ... وأنشرها في كلِّ بادٍ وحاضرِ
دُعاءٌ إلى القرآن والسننِ التي ... تَنَاسى رِجالٌ ذِكرَها في المحاضرِ
وأَلزمُ أطرافَ الثغورِ مجاهداً ... إذا هيعةٌ ثارتْ فأوّلُ نافرِ

لألقــى حمــامي مُقــبلاً غــير مُــدبرٍ بِســـــمرِ العــــوالي والرِّقـــاق البــــواترِ

كِفاحـاً مـع الكفـارِ في حومـةِ الـوغى وأكــــرمُ مــــوتٍ للفــــتى قتــــلُ كـــافرِ

فيـــا ربِّ لا تجعـــل حِمـــامي بغيرهـــا ولا تَجعلــــني مــــن قطــــينِ المقـــــابرِ

آمين، آمين، آمين.

وأمـا عـن وصـيتي لـك أخـي الحبيـب ومـن بطرفـك مـن الأحبـاب، فـإني أوجزهـا لكـم في كلمـات، ومـا أنا لكـم فيهـا بغـاش: (**عيشـوا للـدين، وموتـوا للـدين، وإياكـم مـن مـوتٍ علـى الفراش!**) والله ولي التوفيق....

الرسالة الأولى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1]

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: "وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، إن تنصروا الله بنصركم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم على أعدائه من أهل الكفر به وجهادكم إياهم معه لتكون كلمته العليا ينصركم عليهم، ويظفركم بهم، فإنه ناصر دينه وأولياءه وقوله: ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ يقول: ويقوكم عليهم، ويجرئكم، حتى لا تولوا عنهم، وإن كثر عددهم، وقل عددكم".

***ما هو برنامج المجاهدين الموحدين؟ ما هو مشروعهم؟ ماذا يريدون؟ ما هو دينهم الذي يعتقدونه؟ لماذا يسجنون؟ على ماذا يقاتلون؟ لماذا يتشردون؟ إلى ماذا يدعون؟ على ماذا يحرّضون؟ ما هو طموحهم؟ ما هو هدفهم؟ وما هي وسيلتهم لتحقيق أهدافهم؟**

الجواب: مشروعهم قائم على تحقيق هدفين عظيمين:

١- إعلاء كلمة الله (لا إله إلا الله) وذلك بإزالة الطواغيت والشرك (لا إله) وبتعبيد الناس لله وحده وتحكيم شريعة الله في جميع مناحي الحياة (إلا الله)؛ امتثالا: لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (إلا الله) (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ (لاإله) وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ [الأنعام].

ولقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ (إلا الله) وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ (لا إله) فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦)﴾ [النحل].

وهذه هي دعوتهم، وامتثالا لقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ (لاإله) وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ (إلا الله) فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩)﴾ [الأنفال].

---

(١) [محمد:٧]

وامتثالا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقه وحسابه على الله) [رواه البخاري].

ولهذا يقاتلون.

فهذه الكلمة العظيمة (لا إله إلا الله).. لها جند يجاهدون من أجلها، ويبذلون لها مهجهم وأعمارهم.. من أجلها يسجنون، وفي سبيلها وسبيل تحقيقها وإقامة شرعها، يبتلون ويعذبون.... كما أن لها أعداء وخصوما؛ ينصرون ما ناقضها وعارضها من شرع الطاغوت ودين الكفار.. والحرب منذ خلق الله الخلق بين الطائفتين مستعرة.. فهما فريقان يختصمان.. ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩].

وفي الآية ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

قال ابن القيم رحمه الله: "فإنّ من كون الدين كله لله إذلال الكفر وأهله، وإصغاره وضرب الجزية على رؤوس أهله والرق على رقابهم، فهذا من دين الله ولا يناقض هذا إلا ترك الكفار على عزهم، وإقامة دينهم كما يحبون بحيث تكون لهم الشوكة والكلمة" [أحكام أهل الذمة: ١/١٨].

وقال سيد قطب رحمه الله: "أن معنى هذا الإعلان: الثورة الشاملة على حاكمية البشر في كل صورها وأشكالها وأنظمتها وأوضاعها، والتمرد الكامل على كل وضع في أرجاء الأرض، الحكم فيه للبشر في صورة من الصور.. أو بتعبير آخر مرادف: الألوهية فيه للبشر في صورة من الصور.. ذلك أن الحكم الذي مرد الأمر فيه إلى البشر، ومصدر السلطات فيه هم البشر، هو تأليه للبشر، يجعل بعضهم لبعض أرباباً من دون الله.. إن هذا الإعلان معناه انتزاع سلطان الله المغتصب ورده إلى الله؛ وطرد المغتصبين له؛ الذين يحكمون الناس بشرائع من عند أنفسهم فيقومون منهم مقام الأرباب؛ ويقوم الناس منهم مقام العبيد.. إن معناه تحطيم مملكة البشر لإقامة مملكة الله في الأرض.. " [في ظلال القرآن ٣/١٤٣٣-١٤٣٤].

وفي هذا الحديث (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله): غيظ لأعداء الله من أهل العصر المبغضين لشرائع الإسلام، فإن أعظم نكيرهم اليوم على المجاهدين والداعين

لأحكام الشريعة هو قولهم إن هؤلاء يحكمون على الناس بما هو حق لله تعالى ويطالبون بحق الله تعالى، والحديث حجة لهؤلاء المجاهدين والدعاة وذلك أنهم يفعلون في المشركين الرافضين لأمر الله تعالى ما هو مقدمة لما سيفعل الله بهم يوم القيامة، فهم سيعذبونهم بقتلهم وأخذ أموالهم لأمر الله لهم بذلك، والذي فوضهم لهذا الفعل هو الله كما قال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾، وكما قال صلى الله عليه وسلم: (وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فَقُلْتُ: ربِّ إِذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً! قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ) [رواه مسلم].

وأما قول المشركين المعرضين بأن قضية الإيمان والتوحيد والانقياد للشرائع هي بين الإنسان وربه ولا يحق للعباد محاسبتهم عليها فهذا دينهم الذي به يدينون، وأما ما يدين به المسلم المنقاد لحكم الله أن قضية التوحيد والإيمان والانقياد للشرائع هي حق لله أمر الله عباده بإقامتها في أنفسهم وإقامتها في الناس بالدعوة والموعظة الحسنة فإن أصروا على الإباء والاستكبار قوتلوا عليها ثم عذبوا حتى ينقادوا، ولا يضرهم قول هؤلاء أن هذا مخالف لحقوق الإنسان وحرية التعبير والاعتقاد والرأي والرأي الآخر!!

٢- نصرة المستضعفين ودفع العدو الصائل عن المسلمين؛ امتثالا لقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (٧٥)﴾ [النساء].

قال عبد الرحمن الثعالبي رحمه الله في (**الجواهر الحسان**): "(ٱلْقَرْيَةِ) هنا: مَكَّة بإجماعٍ، والآيةُ تتناوَلُ المؤمنين والأسرَىٰ في حواضِرِ الشِّرْك إلَىٰ يوم القيامة" اهـ.

قال الطبري رحمه الله: "وما لكم لا تفعلون؟! تقاتلون لهؤلاء الضعفاء المساكين الذين يدعون الله أن يخرجهم من هذه القرية الظالم أهلها، فهم ليس لهم قوة، فما لكم لا تقاتلون حتى يسلم الله هؤلاء ودينهم؟!" اهـ.

قال صلى الله عليه وسلم: "ما من امرئ يخذل امرءا مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته، وما من أحد ينصر مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته" [رواه أبوداود وصححه الألباني].

والمناصرة بين المسلمين هي روح الإسلام، ومن أعظم أسباب انتشاره في الأرض، حتى اعترف بذلك العدو، كما قال الكاتب المشهور (ويلز): "كان الإسلام في أول أمره خاليا من التعقيدات اللاهوتية، التي طالما تعتقد بها النصرانية، وأحدثت شقاقا قضى على الروح النصراني، وليس للإسلام كهنة، بل له علماء ومصلحون ووعاظ، وهو حافل بروح الرأفة والسخاء والإخاء، كما أنه ينطوي على عاطفة النجدة التي تنبت في الصحراء، ولهذا جاز إلى قلوب عامة الناس دون أن يجد ما يصده في غرائزهم" [تاريخ الإسلام لحسن إبراهيم: ٢٠٢/١].

ولقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

ولقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

وبوضوح: فإن أهداف القتال عند المجاهدين الموحدين هي: التمكين وتحصيل الملك، لا لأنفسهم ولا من أجل الدنيا في صورة السلطة والنفوذ والمال، ولكن حتى يحصل التمكين لأهل الإيمان ومن ثم تتحقق السيادة للحق والخير وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونشر الخير وتحكيم شريعة الله عز وجل، وبتحقق تلك الأهداف تتحقق الغاية من القتال بأن تكون كلمة الله هي العليا بأفضل صورها ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

وبداهة: فإن الملك لا يُتحصل عليه إلا بالمنازعة، وإزالة الطواغيت لا يمكن أن تتحقق إلا بالمقارعة، وإذا لم تسل الدماء لأجل هذه الغاية فتحققها من أمحل المحال.

ووسيلتهم لتحقيق أهدافهم:

١- الصدع بالحق والتحريض والدعوة بالحسنى؛ امتثالا لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

وكما قال صلى الله عليه وسلم: (سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله) [أخرجه الحاكم، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة].

وقال صلى الله عليه وسلم: (إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه) [أخرجه أحمد وصححه الألباني].

٢- الأخذ بالأسباب والإعداد - بجميع أنواعه الستة: الإعداد الإيماني والإعداد العلمي والإعداد المالي والإعداد الإعلامي والدعوي والإعداد البدني والإعداد العسكري والاستراتيجي الذي يجمع بين القوة والإرهاب؛ امتثالا لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

٣- القتال في سبيل الله-وإن كنت وحدك- والتحريض على ذلك؛ امتثالا لقوله تعالى ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ (لماذا يا الله؟) عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا (لكن يا الله هم أشد منا بأسا!) وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ [النساء: ٨٤]..

قال الإمام القرطبي في تفسيرها: "هي أمرٌ للنبيّ بالإعراض عن المنافقين وبالجدّ في القتال في سبيل الله وإن لم يساعده أحد على ذلك".

قال ابن عطية رحمه الله في [المحرر الوجيز]: "أي أنت يا محمد وكلّ واحد من أمّتك القول له: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾، ولهذا ينبغي لكلّ مؤمن أن يستشعر أن يجاهد ولو وحده، ومن ذلك قول النبيّ عليه الصلاة والسلام: (فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، ولينفذن الله أمره)]**رواه البخاري]**.

وقول أبي بكر وقت الردّة: "ولو خالفتني يميني لجاهدتها بشمالي".

فمهما طال الليل فلا بد من الصباح.. ومع آلام الولادة صرخات الوليد! وليس من المهم أن نعيش النصر بل المهم أن نصنعه! قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

قال سفيان بن عيينة لابن المبارك رحمهما الله: "إذا رأيت الناس قد اختلفوا فعليك بالمجاهدين وأهل الثغور، فإن الله تعالى يقول: ﴿لنهدينهم﴾" [القرطبي ١٣/٣٦٤].

وقال ابن جرير: "﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ يقول: لنوفقنهم لإصابة الطرق المستقيمة، وذلك إصابة دين الله الذي هو الإسلام الذي بعث الله به محمداً ﷺ" [الطبري ٢١/١٥].

وبهذه الأهداف والوسائل نكون –إن شاء الله– من الطائفة المنصورة التي قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة –قال– فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم تعال صل بنا، فيقول لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة) [رواه مسلم].

نسأل الله أن يجعلنا منهم بمنه وكرمه وأن يثبتنا على دينه حتى نلقاه إن ربي قريب مجيب... ومن لطيف الفائدة أن هذه الرواية لا تهتم بنشرها بعض الجماعات الإسلامية، ويغض الطرف عنها بعض المشايخ! فكم سمعنا من بعض المشايخ رواية: (لا تزال طائفة...) ولكنهم لا يذكرون رواية (يقاتلون) وكأنها ليست في صحيح مسلم!

إذاً أخي المحب: هذا وصف دقيق لا يستطيع أن يدّعيه إلا أهله، ومن رحمة الله أن الله جعل رسوله صلى الله عليه وسلم يقول: "يقاتلون" التي لا تحتاج إلى تأويل، ولو جاءت رواية (يجاهدون) لذهب البعض إلى تأويلها وتحريفها! فالمقصود بهذا الإخبار (لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) ليس مجرد التصديق، وإنما الحث على الكينونة في هذه الطائفة والبحث عنها ومناصرتها ليجمع المرء المسلم بين التصديق بالخبر والالتزام بالأمر، لأن المسلم مأمورٌ بالتزام الحق ومعاضدة أهله.

قال العلامة علي القاري رحمه الله: "وهو لا ينافي أن يكون خبراً معناه الأمر كقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)﴾ فإنا مأمورون وجوباً أن نحفظ القرآن بالقراءات المتواترة على سبيل الكفاية" [مرقاة المفاتيح: ١١/ ٤٤١].

ونظير هذا في كتاب الله تعالى قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

قال شيخ الإسلام: "فإنه ما ارتد عن الإسلام طائفة إلا أتى الله بقوم يحبهم يجاهدون عنه وهم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة" [مجموع الفتاوى: ١٨/٣٠٠].

فمثل هذه الآية والحديث التي جاءت في الطائفة المنصورة وبيان صفتها، تنفي مزاعم الاستضعاف العام الذي يحاول البعض أن ينحت الصخر لإثباته وغرسه في قلوب الأمة وإقناعها به بكل وسيلة وحيلة، وتثبت أن الأمة أمة قتال وجهاد وظهور ومقابلة لأعدائها في جميع الأعصار.

وتأمل قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حين قال: "أما الطائفة بالشام ومصر ونحوهما فهم في هذا الوقت المقاتلون عن دين الإسلام وهم من أحق الناس دخولا في الطائفة المنصورة التي ذكرها النبي بقوله في الأحاديث الصحيحة المستفيضة عنه لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة"اهـ. [مجموع الفتاوى: ٢٨/٥٣١].

فانظر كيف أنّ شيخ الإسلام رحمه الله اعتبر العمل والبذل للدين من أعظم صفات الطائفة المنصورة، مع أنّ كثيراً من أهل الشام في ذلك الوقت كان أشعرياً! ولكن لما جاهدوا في سبيل الله وقدّموا أنفسهم لنصرة دين الله كانوا من أحق الناس دخولاً في وصف الطائفة المنصورة.... فإنّ إخواننا المجاهدين الذين وقفوا أمام الزحف الصليبي والصهيوني والشيوعي، ونصبوا صدورهم دروعاً للمسلمين وما زالوا إلى الآن يقاتلون أعداء الإسلام هم من أحق الناس دخولاً في الطائفة المنصورة-نحسبهم والله حسيبهم- فهم يخافون حين يأمن الناس، ويجوعون حين يشبع الناس، ويقاسون ألوان الشدّة والبلاء من الخوف والجوع والعطش والجراح والأسر والتعذيب، كلُّ ذلك من أجل نصرة دين الله وإخراج العدو الصائل عن ديار المسلمين وتحكيم شريعة الله والدفاع عن دين المسلمين وأنفسهم وأعراضهم وأموالهم، فما أحسن ما قدموه لدينهم وأمتهم، وما أسوأ ما قوبلوا به لقاء جهادهم.

بشـارة: روى الإمـام أحمـد في مسـنده والطـبراني في معجمـه الكبـير عـن ابـن عبـاس رضـي الله عنهمـا قـال: قـال رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم: (يخـرج مـن عـدن أبـين اثنـا عشـر ألفـاً ينصـرون الله ورسـوله هـم خـير مـن بيـني وبيـنهم) [قال عنه الشيخ الفاضل العلامة سليمان بن ناصر العلوان ثبته الله: "هذا الحديث إسناده جيد" وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة"].

قولـه: (هـم خـير مـن بيـني وبيـنهم) إمـا أن يكـون إشـارة إلى المكـان؛ أي أنهـم خـير مـن بـين مكانـه صـلى الله عليـه وسـلم وهـو (المدينـة) وبـين عـدن أبـين، أو يكـون إشـارة إلى الزمـان ولا شـك أن هـذا أعظـم؛ أي أنهـم خـير مـن بـين زمانـه وزمـان خـروجهم، والله أعلـم بالصـواب، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء..

وفي مسـند الإمـام أحمـد وسـنن أبي داود وصـححه الألبـاني. عـن ابـن حوالـة قـال قـال رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم: (سيصـير الأمـر إلى أن تكونـوا جنـودا مجنـدة جنـد بالشـام وجنـد باليمن وجنـد بالعـراق). قـال: ابـن حوالـة خـر لي يا رسـول الله إن أدركـت ذلـك، فقـال: (عليـك بالشـام، فإنهـا خـيرة الله مـن أرضـه يجتبي إليهـا خيرتـه مـن عبـاده، فأمـا إن أبيـتم فعليكم بيمنكم واسقوا من غدركم، فإن الله توكل لي بالشام وأهله).

قولـه: (واسـقوا مـن غـدركم) الغـدر: جمـع غـدير، وهـو الـذي يبقـى بعـد ذهـاب السـيل، وبعد انقطاع المطر، والناس يأتون إليها ويشربون منها.

قوله: (فإن الله توكل لي بالشام وأهله) يعني: أنه وعده بأن يكلأهم ويحفظهم.

ففـي هـذا الحـديث أنـه يجـيء على المسـلمين زمـان يصـيرون جنـودا مجنـدة في كـل بلـد، فمـا علـى المسـلم الصـادق إلا أن يلتحـق بجنـدهم في بلـده ليصـير مـن أجنـاد المسـلمين المجنـدة. ورحـم الله الإمـام أحمـد بـن حنبـل؛ فحـين سـئل عـن الجهـاد، جعـل يبكـي ويقـول: (مـا مـن أعمـال الـبر أفضـل منـه)، وقـال: (لـيس يعـدل لقـاء العـدوّ شـيء، ومباشـرة القتـال بنفسـه أفضـل الأعمـال، والـذين يقـاتلون العـدوّ هـم الـذين يـدفعون عـن الإسـلام وعـن حـريمهم، فـأيّ عمـل أفضل منه؟! الناس آمنون وهم خائفون قد بذلوا مهج أنفسهم) [المغني ٩/١٦٤].

*__قـال تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا إِن جَـاءَكُمْ فَاسِـقٌ بِنَبَـإٍ فَتَبَيَّنُـوا أَن تُصِـيبُوا قَوْمًـا بِجَهَالَـةٍ فَتُصْـبِحُوا عَلَـىٰ مَـا فَعَلْـتُمْ نَادِمِـينَ﴾__ إن المجاهـدين يقـاتلون مـن حـاد الله ورسـوله...

وتلقى عليهم التهم خلف التهم لتشكك في جهادهم ودينهم وولائهم.. وقد سار الناس بهذه التهم معتمدين في ذلك على ما ينشر في القنوات والصحف والإنترنت بلا بينة ولا دليل ولم يسمعوا من المجاهدين أنفسهم أو يروا أعمالهم وإصداراتهم ومواقعهم ولم يسمعوا إلا من أعدائهم، فبأي موازين بشرية تأخذ البينة على الناس من أعدائهم؟!... وها هي بين أيديكم إصدارت للمجاهدين فما وافق الكتاب والسنة فخذ به وما خالفهما فاضرب به عرض الحائط!

وننصح بزيارة المواقع التالية للمجاهدين: (إعلام المجاهدين) وهي: وكالة مدد الإخبارية – مؤسسة الملاحم الإعلامية – الحقائق للإنتاج الإعلامي والتوزيع – شبكة أنصار المجاهدين – مؤسسة السحاب الإعلامية – شبكة شموخ الإسلام – مؤسسة الأندلس الإعلامية – منبر التوحيد والجهاد – موقع الفجر للإعلام.

الرسالة الثانية: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾[٢]

إن الديمقراطيين وغيرهم من المستسلمين (جماعة "كما تكونوا يولَّ عليكم" وجماعة "مش وقته" الضمير عائد على الجهاد!) رسالتهم للأمة هي: التأكيد على أن الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية اليوم هو حقيقة قائمة لا بد من الاعتراف بها والتعامل معها على هذا الأساس، وغرس روح القَبول بهذا الواقع والتكيف معه بدلاً من محاولات تغييره، وتأصيل معنى الاستسلام والاستضعاف في قلوب الأمة، والتأكيدُ على أنه حالة متجذرة عميقة متشعبة لا وسيلة لعلاجها، ولا حيلة لتقويم اعوجاجها، ومن ثم فمن العبث التفكير في تغيير هذا الواقع واقتلاعه، فالواجب هو الاعتراف به ودوام استجدائه، والتعامل معه على أنه حقيقة قائمة، لا مجال لإنكارها أو التنكر لها، ولا فائدة من وراء أي سعي لإقامة غيرها، وهذه الفكرة بمجملها خطوة أولى نحو الدعوة "للتعايش السلمي العالمي" وترسيخ مفهوم المواطنة بدلاً من مفهوم الولاء والبراء، والاعتراف بشرعية الأنظمة المرتدة التي تحكم المسلمين بقوانينها الوضعية وتلزمهم بالتحاكم إليها بحديدها ونارها، ومن ثم تسليط كلابها من جيش وأمن واستخبارات وشرط على كل من يعارضها أو يأبى الإذعان لها فضلاً عمن يحاول تغييرها واقتلاع جذورها....!! وهل كُتب على الأجيال أن تفني أعمارها وهي بين الانتظار والاحتضار والتربص والتصبر؟! وأن تعيش تحت كبت الجاهلية، وجحيم القوانين الإجرامية، والاستسلام للمتجبرين الذي لم يدخروا وسيلة من وسائل الاستذلال والإخضاع إلا جربوها؟! ومَن الذي قال إن أبناء أمة الإسلام المعتزّين بالله قد ضربت عليهم الذلة والمسكنة أينما ثقفوا، وأن يتسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة، وأن عليهم أن يتيهوا في الأرض كلَّ أعمارهم ليبحثوا لهم عن ملجأ ومأمن يمُن به عليهم أعداؤهم في بلاد الغرب الكافر ويذروا بلادهم الإسلامية تصطلي بسعير الخوف والرعب والإجرام والتنكيل الذي يمارسه بدقة وعناية وإتقان وإصرار وحقد (ولاة الأمر)؟! ونحب أن ننبه إلى عدم صحة هذا الحديث (كما تكونوا يولَّ عليكم) فقد ضعفه العلماء ومنهم الشيخ المحدث الألباني رحمه الله!

---

(٢) [البقرة: ٢١٦]

فالصراط المستقيم والحل والبديل هو ما خطه النبي صلى الله عليه وسلم ثم أمر الناس بالسير عليه لا بالبحث عنه! ﴿وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فالحل الواقعي الشرعي- الموافق للكتاب والسنة-؛ لتغيير هذا الواقع المؤلم ونصرة المستضعفين وإزالة هؤلاء الطواغيت وتحكيم شرع الله في جميع مناحي الحياة؟! هو:

١- دعوة الناس إلى اجتناب الطاغوت: (الحكام والحكومات المبدلة للشريعة - الديمقراطية والأحزاب المنضوية تحتها) **-كما هي دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام-** قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾ [النحل: ٣٦].

وكما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ وأبوا إلا أن يتخذوا بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله.. فما هو البديل.. وما هو الخيار الذي ينبغي أن ننحاز إليه بكليتنا؟! ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ موحدون لا يمكن أن نُشرك بالله شيئاً.. ولا أن نرضى مثلكم بأن يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله.. فلنا ديننا.. ولكم دين. هذا هو البديل، وهذا هو الخيار الآخر لما يأبى القوم أن يدخلوا في التوحيد وفي سلم الإسلام كافة، ويأبوا إلا الشرك، وأن يتخذوا بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله! ولنا في اعتزال شيخ الملة وإمامها إبراهيم عليه السلام لقومه وبراءته منهم ومما يعبدون من دون الله أسوة حسنة، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

هذا هو الخيار.. وهذا هو البديل.. وهذا هو الطريق.. لا يتنكبه ويرغب عنه إلا من سفه نفسه، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠].

فكما أن (الإيمان): اعتقاد وقول وعمل، فكذلك (الكفر) بالطاغوت (اعتقاد وقول وعمل): فبغض الطاغوت في القلب، واجتنابه باللسان فلا يمدحه ولا يثني عليه، ويجتنبه بجوارحه، وله صور:

١- فلا يناصرهم بقول أو فعل ولا يكون جنديا لهم، قال تعالى ﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

٢- ويجتنبهم ويعتزلهم: قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩)﴾ [مريم].

٣- عدم مخالطتهم والجلوس معهم وقت كفرهم وسخريتهم بالإسلام ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠)﴾ [الأنعام].

٢- الأخذ بالأسباب والإعداد- بجميع أنواعه الستة - الذي يجمع بين القوة والإرهاب- امتثالا لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠)﴾ [الأنفال].

١-٢- الإعداد الإيماني والإعداد العلمي، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢].

٣- الإعداد المالي، قال صلى الله عليه وسلم: (جاهدوا المشركين بأموالكم، وأنفسكم . (وفي رواية: وبأيديكم) وألسنتكم) [أخرجه النسائي وصححه الألباني].

فإن المال هو عصب الدعوة والجهاد ولا تكاد تخلو آية من الآيات التي تحض على الجهاد إلا ويذكر الجهاد بالمال مع الجهاد بالنفس بل يقدم عليها، والتفريط في توفير المال للجهاد في سبيل الله تفريط في الأخذ بأسباب النصر، ولذا وجب السعي في توفير مصادر مالية ثابتة لدعم الجهاد والإعداد له.

٤- الإعـداد الإعلامـي والـدعوي. حيـث لا يخفـى علـى أحـد مـا للإعـلام اليـوم مـن أثـر كبـير في التعريـف بالإسـلام الحـق والتعريـف بأهلـه وكـذلك مـا لـه مـن الأثـر في فضـح الباطـل والتحـذير منـه ومـن أهلـه؛ بحيـث تسـتبين للنـاس سـبيل المـؤمنين وسـبيل المجـرمين، كمـا لا يخفـى مـا للإعـلام مـن دور في التعريـف بالجهـاد والمجاهـدين ونقـل أنبـاء انتصـارات المسـلمين وهـزائم الكـافرين والاسـتفادة مـن الإعـلام في الحـرب النفسـية ضـد الكفـار ورفـع معنـويات المجاهـدين والمسلمين بعامة.

٥ – الإعـداد البـدني. المطلـوب مـن المسـلم أن يعتـني بجسـمه في جميـع الأحـوال، فيعتـني بصـحته وكـل مـا مـن شـأنه تقويـة الجسـد وشـدته وتحملـه للمشـاق وشـظف العـيش (فـالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف) [رواه مسلم].

فـإن الأمـر في حقـه يكـون أكـد وأوجـب –أي الـذي يعـد نفسـه للجهـاد- لأن الأجسـام الضـعيفة المترهلـة المترفـة الـتي أخلـدت إلى الراحـة والإسـراف في أنـواع الطعـام والشـراب والأثاث سـوف لـن تلـبي نـداء الجهـاد، وذلـك لمـا فيـه مـن الشـدائد والجـوع والجراحـات الأمـر الـذي لا تطيقه الأجسام المتنعمة المترهلة المترفة.

٦- الإعـداد العسـكري والاسـتراتيجي قـال تعـالى: ﴿وَأَعِـدُّوا لَهُـمْ مَـا اسْـتَطَعْتُمْ مِـنْ قُـوَّةٍ وَمِـنْ رِبَاطِ الْخَيْـلِ تُرْهِبُـونَ بِـهِ عَـدُوَّ اللَّهِ وَعَـدُوَّكُمْ وَآخَـرِينَ مِـنْ دُونِهِـمْ لَا تَعْلَمُـونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُـمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠)﴾ [الأنفال].

وقـد فسـر النـبي صـلى الله عليـه وسـلم القـوة بالرمـي-كمـا في **صـحيح مسـلم**- فعـن عقبـة بـن عـامر قـال سمعـت رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم وهـو علـى المنـبر يقـول: (﴿وَأَعِـدُّوا لَهُـمْ مَـا اسْـتَطَعْتُمْ مِـنْ قُـوَّةٍ﴾؛ ألا إن القــوة الرمــي، ألا إن القــوة الرمــي، ألا إن القــوة الرمــي) وهــذا التفسـير منـه عليـه السـلام نـص في موضـع النـزاع بـين مـن يقـول: إن الإعـداد للجهـاد يكـون بالتـدريب علـى السـلاح، وبـين مـن يقـول الإعـداد يكـون بالتربيـة والتزكيـة فقـط، إذ أن الحـديث يبـين أن القـوة الـتي أمـر الله بإعـدادها هـي القـوة الماديـة مـن مختلـف أسـلحة الرمايـة (مـن المسـدس والكلاشـنكوف مـرورا بالبيكـا والدشـكة والأربيجـي إلى المـدافع والـدبابات إلى تي.

إن. تي وغيرها من المتفجرات) مع التدريب عليها وهذا مما لا يسع المسلم تركه مع الاستطاعة

. قال القرطبي في تفسيره: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنه: "القوة هنا السلاح والقسي" اهـ.

وقال الصنعاني رحمه الله: "أفاد الحديث تفسير القوّة في الآية بالرمي بالسهام لأنه المعتاد في عصر النبوّة، ويشمل الرمي بالبنادق للمشركين والبغاة، ويؤخذ من ذلك شرعية التدرّب فيه، لأن الإعداد إنما يكون مع الاعتياد، إذ من لم يحسن الرمي لا يسمى معدّاً للقوة" اهـ.

وأمة الإسلام أمة جهاد، وقد جاء الاعتناء بهذا النوع من الإعداد حتى في حالة التمكين والغلبة لتكون الأمة في كل حين مرهوبة الجانب محفوظة الحقيقة، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه) [رواه مسلم].

*ومن لم يكفر بـ (طواغيت الحكم) فسيحمل جميع الآيات والأحاديث على وجوب الإعداد المادي والعسكري على حكامهم وأولياء أمورهم!

إن الله تعالى لم يشرع الإعداد لكي يكون ذريعة للتخذيل والاستمرار في القعود.. الإعداد عملية استعداد وجمع للطاقات يقوم بها الطرف المهاجِم قبل بدء المعركة أما الطرف المهاجَم فلا وقت لديه للإعداد بل ضرورة المعركة تفرض عليه أن يبادر بصد العدوان بالموجود وألا يشغله عن البدار طلبُ المفقود.. إن العدو قد حل بالديار وعاث في الأمصار.. وسفك الدماء.. وانتهك الأعراض.. ودنس المقدسات.. ونهب الثروات.. فإلى متى الإعداد؟! الملايين قتلوا ونحن في مرحلة الإعداد! والملايين شردوا ونحن في مرحلة الإعداد! والملايين في السجون ونحن في مرحلة الإعداد! والملايين يعيشون الخوف والفزع ونحن في مرحلة الإعداد! والملايين تحت القهر والذل والبطش ونحن في مرحلة الإعداد! والأجيال تتوارث القعود بحجة الإعداد! وتموت على الفراش بحجة الإعداد! فإلى متى الإعداد؟! ليس هذا هو الإعداد الذي أمر الله به..

الإعداد لا يعني أن ندخل في سرداب عميق لا نهاية له ثم ننظر من بعيد إلى ضحايا المسلمين ونلوح لهم بإشارة النصر ونقول: نحن قادمون! الإعداد يعني أن ننتفض كالطير ونثِبَ كالأسود ونستغل كل الإمكانيات ونجمع كل الطاقات وننطلق في أسرع اللحظات لدفع العدوان وصد الهجمات.. ولهذا أمر الله تعالى بالمستطاع منه فقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾.. وإنك لتلمح في قوله تعالى: ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ إشارة إلى الإسراع والمبادرة التي لا تسمح بالتراخي فتدرك أن الآية سيقت في معرض التحفيز والاستنفار لكن أصحاب الإعداد السرمدي جعلوها ذريعة لنوم عميق!

وللأسف: إن كثيراً ممن لم يفقهوا حقيقة هذا الدين يصرفون الشباب عن الإعداد العسكري إلى الإعداد العلمي- زعموا- وإلى التربية المزعومة عبر كرة الطائرة وصحون الكبسات! فمن لم يتربى في الخنادق فلن تنفعه تربية الفنادق!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية "ومن كان كثير الذنوب، فأعظم دوائه الجهاد، فإن الله عز وجل يغفر ذنوبه كما أخبر الله تعالى في كتابه بقوله سبحانه: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾" اهـ. الفتاوى (٢٨/٤٢٢).

فهذه فتوى شيخ الإسلام للتائبين والمذنبين أن يهذبوا أنفسهم ويتربوا في أرض الجهاد فهي كما قال أعظم دواء.

٣- القتال في سبيل الله- وإن كنت وحدك- والتحريض على ذلك؛ امتثالا لقوله تعالى ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ (لماذا يا الله؟) عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا (لكن يا الله هم أشد منا بأسا!) وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ [النساء: ٨٤].

قال الإمام القرطبي في تفسيرها: "هي أمرٌ للنبيّ بالإعراض عن المنافقين وبالجدّ في القتال في سبيل الله وإن لم يساعده أحد على ذلك".

وقال الإمام السعدي رحمه الله: "﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ على القتال، وهذا يشمل كل أمر يحصل به نشاط المؤمنين وقوة قلوبهم، من تقويتهم والإخبار بضعف الأعداء وفشلهم،

وبما أُعد للمقاتلين من الثواب، وما على المتخلفين من العقاب، فهذا وأمثاله كله يدخل في التحريض على القتال".

وقال صلى الله عليه وسلم: (جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ) وذلك أن جهاد الكفار يكون بحمل السلاح مباشرة وبإعانة المجاهدين بالأموال وتجهيز الغزاة وبتحريض المسلمين على القتال ورفع هممهم وتثبيط الكافرين وتخذيلهم، فهذه الأمور الثلاثة داخلة في جهاد الكفار وهي المقصودة في الحديث.

قال الصنعاني رحمه الله في (**سبل السلام**): "الحديث دليل على وجوب الجهاد بالنفس وهو بالخروج والمباشرة للكفار وبالمال وهو بذله لما يقوم به من النفقة في الجهاد والسلاح ونحوه، وهذا هو المفاد من عدة آيات في القرآن: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ والجهاد باللسان بإقامة الحجة عليهم ودعائهم إلى الله تعالى وبالأصوات عند اللقاء والزجر ونحوه من كل ما فيه نكاية للعدو ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم لحسان: (إن هجو الكفار أشد عليهم من وقع النبل)"اهـ.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "فإذا ترك الناس الجهاد فى سبيل الله فقد يبتليهم بأن يوقع بينهم العداوة حتى تقع بينهم الفتنة كما هو الواقع، فإن الناس إذا اشتغلوا بالجهاد فى سبيل الله جمع الله قلوبهم وألف بينهم وجعل بأسهم على عدو الله وعدوهم، وإذا لم ينفروا فى سبيل الله عذبهم الله بأن يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض" [مجموع الفتاوى: ١٥/٤٤].

يقول سيد قطب رحمه الله: "وكم من شهيد ما كان يملك أن ينصر عقيدته ودعوته ولو عاش ألف عام، كما نصرها باستشهاده، وما كان يملك أن يودع القلوب من المعاني الكبيرة، ويحفز الألوف إلى الأعمال الكبيرة، بخطبة مثل خطبته الأخيرة التي يكتبها بدمه، فتبقى حافزًا محركًا للأبناء والأحفاد، وربما كانت حافزًا محركًا لخطى التأريخ كله مدى الأجيال".

في عبادة (الجهاد والقتال) فقط تستوفي جميع أوامر الله جل جلاله وجميع مراضيه ومحابه، فمع العبادات التي يفعلها عامة المسلمين، فهناك عبادة: الهجرة في سبيل الله... مراغمة الكافرين وإغاظتهم.. إقامة الحدود... الحراسة في سبيل الله.. إظهار (الولاء

والبراء)... إراقة الدم في سبيل الله... الفزع في سبيل الله... الثبات للعدو وترك الفرار من الزحف.... أداء خُمْس المغنم إلى الإمام أو عامله... جهاد الكفار والمنافقين والإغلاظ عليهم... وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وذروة سنامه الجهاد) [رواه أحمد وصححه الألباني].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فإن نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في الدين والدنيا، ومشتمل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة: فإنه مشتمل من محبة الله - والإخلاص له - والتوكل عليه — وتسليم النفس والمال له - والصبر - والزهد - وذكر الله –وسائر أنواع الأعمال" اهـ [السياسة الشرعية: ١٥٩/١].

فالجهاد هو ذروة سنام الإسلام، والعامل فيه قائم في الذروة من الفضائل فلذلك هو أفضل أهل الإيمان، والجهاد بالنسبة لهذا الفاضل هو عمل حياته الذي رضيه لنفسه، فيه يقضي أوقاته، وفيه باب رزقه ومعيشته، وهذا هو الذي رضيه الله تعالى لأعظم البشر بعد الأنبياء وهم أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم إذ كان الجهاد هو عمل حياتهم ولم ينتفعوا في حياتهم من مال ونعيم كما انتفعوا من حياة الجهاد، ولذلك سمى الله الجهاد "حياة" كما قال تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

إن أعداءنا درسوا ديننا وتاريخنا، وعلموا أن النبي صلى الله عليه وسلم استطاع بعد غرس عقيدة التوحيد في قلوب الصحابة أن يؤاخى بين الأوس والخزرج بعد اقتتال وعداء كبير ثم فتح الله له قلوب الناس فدخلوا في دينه أفواجا حتى فتحت لهم الجزيرة كلها، ثم انطلقت الجيوش تحمل راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله) شرقا وغربا شمالا وجنوبا، فلم يمر القرن الأول من الهجرة حتى امتلك المسلمون ملك كسرى وقيصر ودخلوا مصر وإفريقيا وأوروبا وآسيا، وتحقق قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله زوى - أي جمع وضمّ - لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها) [رواه مسلم].

وقوله صلى الله عليه وسلم: (ليبلغنّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعزّ عزيز أو بذلّ ذليل، عزا يعز الله به الإسلام وذلا يذل به الكفر) [رواه ابن حبان وصححه الألباني].

فهـم يعلمـون أنّ المسـتقبل للإسـلام، وأنّ هـزيمتهم وانهيـار دولهـم يكـون علـى يـد المسـلمين وأن الله ناصـر دينـه ومعزّ جنـده وهـازم الأحـزاب وحـده قـال تعـالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١)﴾ ولهـذا فإنـك تـرى أنـه مـا قامـت طائفـة تقاتـل علـى الـدين وتـدعوا إلى تحكيمـه، وسـالكة مسـلك السـلف الصـالح علـى مـنهج النـبي صلى الله عليـه وسـلم وصـحابته، إلا عوديـت وحوربـت واجتمـع العـالم علـى ضـربها وصـدّها عـن سبيلها وتغريبها.

ولا بـد للمسـلم أن يعلـم أن إقامـة الدولـة الإسـلامية وبنـاء الحضـارة الحقـة لا يتحقـق إلا بالقـوة الـتي تحمـي الحـق وتـدافع عنـه، وهـي سـنة لا تتبـدل ولا تتغـير، كمـا قـال تعـالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١)﴾، والآيـة تـدل علـى سـنة التـدافع بـين الحـق والباطـل ولـولا أن الله تعـالى يـدفع بالمجاهـدين في سـبيله الكفـار وغـيرهم مـن المفسـدين لفسـدت الأرض باسـتيلاء الكفـار عليهـا وتحكيم كفرهم فيها كالديمقراطية أو غيرها، وفتنة المسلمين وصدهم عن دينهم.

ومـن الإفسـاد انتهـاك الأعـراض، وإزهـاق الأنفـس البريئـة، والتجـبر والاسـتطالة علـى المسـلمين، ونهـب خـيراتهم ونفطهـم. وفي الآيـة أن أئمـة الكفـر المجـرمين الـذين يسـعون إلى العلـو في الأرض والإفسـاد فيهـا لـن يوقـف زحفهـم ويصـد عـدوانهم، المهزومـون القاعـدون عـن الجهـاد، بـل يـدفعهم ويكـف عـدوانهم المجاهـدون الصـادقون، فـإن أئمـة الكفـر لا تخـيفهم وتـرهبهم إلا القـوة الـتي تحـول بيـنهم وبـين مخططـاتهم وأطمـاعهم، وهـذا هـو سـبب بغضـهم للجهـاد في سـبيل الله الـذي أرق مضـاجعهم، وأذل غـرورهم، ونغـص أمـنهم وعيشـهم، وأدخـل في حياتهم الخوف والرعب والترقب، وكشف زيف قوتهم المدعاة.

واسمـع لهـذه البشـارة: عـن أبي هريـرة أن رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم قـال: (لا يجتمـع كافر وقاتله فى النار أبدا) رواه مسلم.

وبالجهـاد يتميـز النـاس إلى صـفوف؛ صـف أهـل الإيمـان والتوحيـد، وصـف الكفـر وأهلـه، وصف الخذلان والنفاق.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وليعلم المؤمنين * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٦-١٦٧]

فإن قيل: أنّ الجهاد فتنة!

قلنا: ما قاله تعالى لأمثال هؤلاء: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩] وكيف يكون الجهاد فتنة وبالجهاد تُزال كلّ فتنة كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾؟! [الأنفال: ٣٩] فلو كان هناك طريق آخر لإزالة الفتنة — أي الشرك والصد عن سبيل الله- ويكون بها الدين كله لله سوى القتال لدلنا عليها ربنا عز وجل! فلا تشغل نفسك بهيشات الأسواق ولا بنيّات الطريق ﴿قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

ولا تعط لأعدائك فرصة ينعمون فيها بأمن ولا ارتياح ولا تفكير، واعلم أن ما يصيبك من الهم والحزن والألم والشدة فلهم مثله وأكثر كما قال ربنا عز وجل: ﴿وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ [النساء: ١٠٤].

قال السعدي رحمه الله: "وفي هذه القصة -قصة طالوت وجالوت- عبر كثيرة للأمة: فضيلة الجهاد في سبيله وفوائده وثمراته وأنه السبب الوحيد في حفظ الدين وحفظ الأوطان وحفظ الأبدان والأموال".

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: "واعلم أن الدعوة إلى الله بطريقين:

طريق لين، وطريق قسوة.

أما طريق اللين فهي الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وإيضاح الأدلة في أحسن أسلوب وألطفه.

فإن نجحت هذه الطريق فبها ونعمت، وهو المطلوب وإن لم تنجح تعينت طريق القسوة بالسيف حتى يعبد الله وحده وتقام حدوده، وتمتثل أوامره، وتجتنب نواهيه، وإلى هذا

الإشارة بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ الآية [الحديد: ٢٥].

ففيه الإشارة إلى إعمال السيف بعد إقامة الحجة، فإن لم تنفع الكتب تعينت الكتائب، والله تعالى قد يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن" اهـ.

فليتحين من فاتته المشاركة فيما مضى الفرصة للمشاركة فيما هو آت، فإن الجهاد ماضٍ ولا بُدّ، وعلى الرغم ممّا تمخّض عنه في السابق من خيراتٍ حِسان - رُغم قلّة النصير، وكثرة النكير - فإنّ جراحات المسلمين لا تزال نازفة في شرق العالم الإسلاميّ وغربه، ولا يكاد يلتئم جُرحٌ حتى يُثلَم ثغر جديد هنا أو هناك، فيهب لسدّه شبابٌ باعوا نفوسهم لله، وذاقوا حلاوة التضحية والجهاد، فغبّروا أقدامهم في سبيله، وعفّروا جباههم بتراب الرباط في ميادينه وعلى ثغوره، غير آبهين أو مبالين بصَلَف الطغاة وخُذلان بعض الدعاة كما أخبر الله عنهم ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]

وأخبر عنهم رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ) متفق عليه.

فطريق النصر والتمكين في القرآن الكريم-باختصار- هو:

(١) الدعوة إلى تحقيق التوحيد واجتناب الطاغوت والشرك: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

(٢) الإعداد الشامل والقتال في سبيل الله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة].

وفي غير هذا الطريق لن نزداد إلا ذلا وهوانا على الله وعلى الناس! ولا نلوم إلا أنفسنا! ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

فمن رفض التحاكم إلى شرع الله فليس أمامنا إلا هذا الطريق؛ فهو الطريق الشرعي الوحيد في هذه الحالة.. وهو الطريق الذي سار عليه أبو بكر الصديق ومن معه من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فقاتلوا الممتنعين عن فريضة واحدة هي الزكاة.. وكان الصديق يقول: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة..! وبوب البخاري على هذا الحديث فقال: "باب قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة".

وقتل في تلك الحرب أكثر من ١٤٠٠ من الصحابة الكرام واستحر القتل في القراء حتى خشي الصحابة أن يضيع القرآن فقام الصديق بجمع القرآن وكان ذلك هو أول جمع للقرآن..

فقد روى **البخاري**: أن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: "أرسل إليّ أبو بكر، مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن،..."كان ذلك القتال من أجل فريضة واحدة! فكيف لا نقاتل نحن اليوم من أجل شريعة الله المغيبة بالكامل..؟! هو طريق صعب وشاق.. لكنه الطريق الشرعي الوحيد.

وقد كتب الله علينا هذه المشقة ابتلاء لنا واختبارا لإيماننا: قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

إن من المرفوض شرعا أن يكون العلمانيون واللادينيون وقوانينهم الوضعية مدعومين بقوة العسكر وتأييد الغرب في حين أن الدعاة إلى الله عز وجل عزّل من كل أسباب القوة ولا يملكون من أوراق الضغط إلا الاستجداء والاستعطاف! وإن غضبوا فلا أكثر من

الشجب والتنديد!! إن حكم الشريعة الذي يفيض بمعاني السيطرة والغلبة لا يمكن أن يتحقق على أرض الواقع ولا يمكن أن يستمر بعد تحققه إلا بقدر من القوة.

والتاريخ البشري عموما والأحداث المعاصرة خصوصا تشهد لصحة ذلك... ففي طريق الدعوة نحتاج إلى القوة عند اصطدام الأغلبية المطالبة بشرع الله بالأقلية الرافضة له..

وفي طريق التغيير بالقوة نحتاج إلى الدعوة لأنها هي الوسيلة لتكثير السواد وجمع الأنصار... فبان بذلك أن هذين الطريقين ليسا في الحقيقة إلا طريقا واحدا يجمع بين حكمة الدعوة باللسان وقوة الجهاد بالسيف والسنان وأنهما مترابطان لا ينفصلان.

فالمشكلة ليست في انعدام البدائل ولكنها في انعدام التضحية والإرادة الجادة! ولكن بعض الناس لا يريد إلا بديل الرخاء والدعة والسكون كما قال تعالى: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧)﴾!! فهذا هو السبيل الوحيد لإنقاذ هذه الأمة من وضعها المزري، ومهما بذلنا من جهد واستفرغنا من وسع في غير هذا الطريق فإننا بيقين سنبقى بعيدين كل البعد عن الوصول إلى الغاية المرجوة وعلى رأسها إقامة الدين والتمكين لشريعة رب العالمين وتحطيم كل الآلهة —بشرية كانت أم رمزية– التي تحول بيننا وبين عبادة ربنا كما يحب ويرضى.

لشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيد سليم والأغر ابن حاتم

فهمّ الفتى الأزدي إتلاف ماله وهم الفتى القيسيّ جمع الدراهم

فلا يحسب التمتام أني هجوته ولكنني فضلت أهل المكارم

ولله در القائل:

فتيانكم.. أكل الفتى.. فتيانكم.. لعب الفتى.. فتيانكم.. نام الفتى.. كبر الفتى.. ثم انتهى وتبلّدا!

فتياننا.. رحل الفتى.. فتياننا.. هجم الفتى.. فتياننا جرح الفتى.. نزف الفتى.. ثم ارتقى واستشهدا!

*****حكـم الجهـاد**: الأصـل في الجهـاد في سـبيل الله أنـه فـرض كفايـة إذا قـام بـه مـن يكفـي سـقط الإثم عـن البـاقين، قـال تعـالى: ﴿لاَّ يَسْـتَوِي الْقَاعِـدُونَ مِـنَ الْمُـؤْمِنِينَ غَـيْرُ أُوْلِي الضَّـرَرِ وَالْمُجَاهِـدُونَ فِي سَـبِيلِ اللّهِ بِأَمْـوَالِهِمْ وَأَنفُسِـهِمْ فَضَّـلَ اللّهُ الْمُجَاهِـدِينَ بِأَمْـوَالِهِمْ وَأَنفُسِـهِمْ عَلَـى الْقَاعِـدِينَ دَرَجَـةً وَكُـلاًّ وَعَـدَ اللّهُ الْحُسْـنَى وَفَضَّـلَ اللّهُ الْمُجَاهِـدِينَ عَلَـى الْقَاعِـدِينَ أَجْـرًا عَظِيمًـا (٩٥)﴾ [النساء].

ويكون الجهاد فرض عين في ثلاث حالات:

الحالـة الأولى: إذا حضـر المسـلم الصـف؛ لقـول الله تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا إِذَا لَقِيـتُمْ فِئَـةً فَـاثْبُتُوا﴾ [الأنفال: ٤٥]، وقوله تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا إِذَا لَقِيـتُمُ الَّـذِينَ كَفَـرُوا زَحْفًـا فَـلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: ١٥].

فهـذا دليـل علـى أن مـن حضـر الصـف وجـب عليـه الصـبر، ووجـب عليـه القتـال، وصـار فرض عين.

الحالـة الثانيـة: إذا اسـتنفره الإمـام، لقولـه تعـالى: ﴿مَـا لَكُـمْ إِذَا قِيـلَ لَكُـمُ انفِـرُوا فِي سَـبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾ [التوبة: ٣٨].

وقـال صـلى الله عليـه وسـلم: (لا هجـرة بعـد الفـتح، ولكـن جهـاد ونيـة، وإذا اسـتنفرتم فانفروا) رواه البخاري.

الحالـة الثالثـة: إذا دهمهـم العـدو، حـتى علـى النسـاء وعلـى الكبـار والصـغار، كـل بقـدر مـا يستطيعه.

وهنـاك حالـة قـال بهـا بعـض العلمـاء: الحالـة الرابعـة: إذا أسـر الكفـار مجموعـة مـن المسـلمين، والـدليل أن الله تعـالى أمـر بالقتـال لتخلـيص ضـعفة المسـلمين، قـال تعـالى: ﴿وَمَـا لَكُـمْ لاَ تُقَـاتِلُونَ فِي سَـبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْـعَفِينَ مِـنَ الرِّجَـالِ وَالنِّسَـاءِ وَالْوِلْـدَانِ الَّـذِينَ يَقُولُـونَ رَبَّنَـا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَـةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَـا وَاجْعَـل لَّنَـا مِـن لَّـدُنكَ وَلِيًّـا وَاجْعَـل لَّنَـا مِـن لَّـدُنكَ نَصِـيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

قال القرطبي رحمه الله: "وتخليص الأسارى واجب على جميع المسلمين إما بالقتال وإما بالأموال، وذلك أوجب لكونها دون النفوس إذ هي أهون منها، قال مالك: واجب على الناس أن يُفْدوا الأسارى بجميع أموالهم، وهذا لا خلاف فيه".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فكاك الأسارى من أعظم الواجبات، وبذل المال الموقوف وغيره في ذلك من أعظم القربات" [الفتاوى ٢٨/٦٣٥].

الرسالة الثالثة: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[3]

قال سيد رحمه الله: "إن أمام الإنسان طريقين اثنين لا ثالث لهما:

طريق الله وطريق الشيطان، أن يستمع إلى وعد الله أو أن يستمع إلى وعد الشيطان.

ومن لا يسير في طريق الله ويسمع وعده فهو سائر في طريق الشيطان ومتبع وعده.. ليس هنالك إلا منهج واحد هو الحق.. المنهج الذي شرعه الله.. وما عداه فهو للشيطان ومن الشيطان. هذه الحقيقة يقررها القرآن الكريم ويكررها ويؤكدها بكل مؤكد. كي لا تبقى حجة لمن يريد أن ينحرف عن منهج الله ثم يدّعي الهدى والصواب في أي باب. ليست هنالك شبهة ولا غشاوة.. الله أو الشيطان. منهج الله أو منهج الشيطان. طريق الله أو طريق الشيطان.. ولمن شاء أن يختار.. «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ».. لا شبهة ولا غبش ولا غشاوة.. وإنما هو الهدى أو الضلال. وهو الحق واحد لا يتعدد.. فماذا بعد الحق إلا الضلال؟!"اهـ.

*شرع القتال في سبيل الله لمقصدين عظيمين:

المقصد الأول: نصرة المستضعفين ودفع العدو الصائل عن المسلمين، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (٧٥)﴾ [النساء].

فماذا يقعد بالمؤمنين عن الجهاد ويصرف وجوههم عنه وبين أيديهم أسبابه قائمة ودواعيه مجتمعة؟! فهؤلاء البغاة الطغاة يتسلطون على المستضعفين، من الرجال والنساء والولدان، الذين لا يستطيعون دفع العدوان، ولا يقدرون على الإفلات من هذا العذاب المسلط عليهم، وليس لهم إلا الضراعة إلى الله واللّجأ إليه أن يخلصهم من هذا البلاء، وأن يسوق إليهم من رحمته جندا من جنده، وعبادا من عباده، ينتصرون لهم، ويدفعون يد العدوان عنهم! إن المروءة – قبل الدّين – تقضي بأن يخفّ أهل النجدة والنخوة إلى

(٣) [النساء: ٧٦]

استنفاذ هؤلاء المستضعفين، الذين تسلطت عليهم الذئاب، وعلقت بهم شباك الضّالين الظالمين..

فكيف إذا كان هؤلاء الضعاف المستضعفون، إنما يلقون ما يلقون من عنت وإرهاق، لأنهم آمنوا بالله، واستجابوا لرسول الله؟! وفي قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً﴾ إشارة مضيئة، تكشف عن جماعة المجاهدين الذين ندبهم الله لاستنفاذ هؤلاء المستضعفين.. إن هؤلاء المجاهدين هم جند الله الذين بعثهم من لدنه، ليكونوا أولياء ونصراء لهؤلاء الضعفاء.. إنهم استجابة لدعوة هؤلاء المظلومين، حين وجهوا وجوههم إلى الله ضارعين قائلين: ﴿رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْ هذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُها وَاجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً﴾

وقال تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤)﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠)﴾ [البقرة].

وقال صلى الله عليه وسلم: (من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد) أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي وصححه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: (فلا تعطه مالك)، قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: (قاتله) قال: أرأيت إن قتلني؟، قال: (فأنت شهيد) قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: (هو في النار)" [رواه مسلم].

وحكم الجهاد هنا (دفع العدو الصائل) أنه فرض عين بإجماع المسلمين، وقد حكى ابن حزم في (**مراتب الإجماع**) (اتفاق العلماء على فرضية الجهاد على الأحرار البالغين المطيقين إذا دهم العدو بلداً من بلاد المسلمين).

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله: "فأمّا إذا أراد العدوّ الهجوم على المسلمين فإنّه يصير دفعه واجبا على المقصودين كلّهم، وعلى غير المقصودين بإعانتهم كما قال تعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾" اهـ كلامه..

وفي هذه الحالة يكون الجهاد والقتال فرض عين كالصلاة، فيجب الجهاد على أهل البلد التي اعتدى عليها الكفار أو المرتدون، ويتوسع الوجوب على الأقرب فالأقرب، حتى تحصل الكفاية ويدفع العدو، فإن بلاد المسلمين بمنزلة الأرض الواحدة، فلا عبرة في زماننا هذا بالحدود المصطنعة في بلاد المسلمين التي اختطها الصليبيون المستعمرون وعملاؤهم لتمزيق الأمة وإضعافها، وقال صلى الله عليه وسلم: (ما من امرئ يخذل امرءا مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته وما من أحد ينصر مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته) رواه أحمد وأبو داود.

ولا يشترط له الشروط الذي يذكرها الفقهاء في جهاد الطلب من:

١- استئذان الوالدين.

٢- استئذان المدين.

٣- أن يزيد العدو عن ضعفي المسلمين.

٤- الحرية.

٥- الذكورة.

٦- استئذان الأمير.

٧- الاستطاعة المالية.

قال الماوردي رحمه الله: "فرض الجهاد على الكفاية يتولاه الإمام ما لم يتعيّن" الإقناع ص/١٧٥.

ويقول ابن تيمية في (الفتاوى الكبرى (٤/٦٠٧): "أما إذا هجم العدو فلا يبقى للخلاف وجه، فإن دفع ضررهم عن الدين والنفس والحرمة واجب إجماعا، فلا حاجة لإذن أمير المؤمنين".

وقال في الفروع (٦/ ٢٠٢): "وقال شيخنا (شيخ الإسلام): جهاد الدافع للكفار يتعين على كل أحد، ويحرم فيه الفرار في مثليهم؛ لأنه جهاد ضرورة لا اختيار، وثبتوا يوم أحد والأحزاب وجوبا، وكذا لما قدم التتار دمشق" اهـ.

وقال رحمه الله في (الفتاوى الكبرى): "وإذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب؛ إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة، وأنه يجب النفير إليه بلا إذن والد ولا غريم، ونصوص أحمد صريحة بهذا" اهـ.

قال الجصاص رحمه الله: "ومعلوم في اعتقاد جميع المسلمين أنه إذا خاف أهل الثغور من العدو ولم تكن فيهم مقاومة فخافوا على بلادهم وأنفسهم وذراريهم، أن الفرض على كافة الأمة أن ينفر إليهم من يكف عاديتهم من المسلمين، وهذا لا خلاف فيه بين الأمة، إذ ليس من قول أحد من المسلمين إباحة القعود عنهم حتى يستبيحوا دماء المسلمين وسبي ذراريهم".

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين، فواجب إجماعاً، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط، بل يدفع بحسب الإمكان وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم، فيجب التفريق بين دفع الصائل الظالم وبين طلبه في بلاده" (الفتاوى الكبرى: ٥ /٥٣٧).

وقال ابنُ القيمِ رحمه الله تعالى في (**الفروسية**): (**فقتال الدفع أوسع من قتال الطلب وأعم وجوبا، ولهذا يتعين على كل أحد يقم ويجاهد فيه العبد بإذن سيده وبدون إذنه، والولد بدون إذن أبويه، والغريم بغير إذن غريمه وهذا كجهاد المسلمين يوم أحد والخندق، ولا يشترط في هذا النوع من الجهاد أن يكون العدو ضعفي المسلمين فما دون، فإنهم كانوا يوم أحد والخندق أضعاف المسلمين فكان الجهاد واجبا عليهم؛ لأنه**

حينئذ جهاد ضرورة ودفع لا جهاد اختيار...)، إلى أن قال: (فجهاد الدفع يقصده كل أحد، ولا يرغب عنه إلا الجبان المذموم شرعا وعقلا).

وقد أدرك العلماء الأجلاء السابقين خطورة هذه المسألة فعظموها وفخموها وهولوا شأنها وعدوها أم المصائب ونائبة النوائب حتى يستعشر المسلمون خطرها ولا يتهاونون في أمرها، فانظر مثلا ما يقوله إمام الحرمين الجويني رحمه الله عن مثل هذه الحالات: "فمن استمسك بالحق ولم يمل به مهوى الهوى عن الصدق تبين على البدار والسبق أن خزائن العالمين وذخائر الأمم الماضين وكنوز المنقرضين لو قوبلت بوطأة من الكفار لأطراف ديار الإسلام لكانت مستحقرة متسنزرة، فكيف لو تملكوا البلاد، وقتلوا العباد، وقرعوا الحصون والأسداد، وخرقوا عن ذوات الخدور حجب الرشاد، ومال إليهم من لا خلاق له من حثالة الناس بالارتداد، وتخلل الحرائر العلوج، وهتك حجابهن التبذل والبروج، وهدمت المساجد، ورفعت الشعائر والمشاهد، وانقطعت الجماعات والأذان، وشهرت النواقيس والصلبان، وتفاقمت دواعي الاختزاء والافتضاح، وصارت خطة الإسلام بحرا طافحا بالكفر الصراح" (غياث الأمم: ٢٥٤).

ومما ينبغي التنبيه عليه: أن قولنا: بعدم اشتراط (إذن الأمير) أي في أصل الأمر - فلم يعطل الجهاد ويخون الأمة.. وكان أميرا شرعيا- أما إذا عطل الجهاد فيقول شيخ الإسلام رحمه الله: "وإذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد ومقصوده أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فمن منع هذا قوتل باتفاق المسلمين" السياسة الشرعية صـ (١٣٢).

قال ابن رشد: "طاعة الإمام لازمة إن كان غير عدل ما لم يأمر بمعصية، ومن المعصية النهي عن الجهاد المتعيّن" كذا في (فتح العلي المالك (١/٣٩٠).

وقال ابن حزم في المحلى (٥/٣٥٢): "لا إثم بعد الكفر أعظم من إثم من نهى عن جهاد الكفار".

وفي (تاريخ دمشق (٢٢/٥): سئل وكيع بن الجراح عن قتال العدو مع السلطان الجائر؟ قال: "إن كان جائراً وهو يعمل بالغزو بما يحق عليه فقاتل معه، وإن كان يرتشي منهم ويهادنهم فقاتل على حيالك".

قال ابن النحاس رحمه الله في مسألة فيما لا بد للمجاهد من معرفته من الأحكام: "الجهاد بغير إذن الإمام أو نائبه مكروه ولكنه ليس حراما وتستثنى من الكراهة الحالات التالية:

الأولى: إذا استأذن الواحد أو الجماعة للجهاد فات المقصود لأن الجهاد حالة قائمة ماسة لا تنتظر التأخير أو الاستئذان.

الثانية: إذا عطل الإمام الجهاد وأقبل هو وجنوده على الدنيا مما هو مشاهد هذه الإعصار والأمصار! فلا كراهة في الجهاد بغير إذن الإمام لأن الإمام معطل للجهاد والمجاهدون يقومون بالفرض المعطل.

ثالثا: إذا كان من يريد الجهاد لا يقدر على الاستئذان لأنه يعلم انه لو استأذن لم يؤذن له" اهـ. [مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق].

أما إذا كان الإمام أو الأمير مقيما للجهاد فطاعته واجبة للأَدِلَّـةِ الكَثِيرَةِ المتَضافِرَةِ الدالةِ علَى وُجُوبِ السمْعِ والطاعَةِ لأمَراءِ الكتائِبِ والسَّرايا؛ والحَثِّ عَلى اجْتِماعِ الكَلِمَةِ والاعْتِصامِ بِحَبْلِها، وأن من عقيدة أهل السنة والجماعة: (الجهاد مع كل بر وفاجر).

المقصد الثاني: إزالة الطاغوت والشرك وإقامة حكم الله في الأرض:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِن بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وليست الأرض ملكا وحقاً للطواغيت الذين يتسلطون على قطعة من الأرض هنا أو هناك، ويستعبدون أهلها، فقارة أمريكا الشمالية مثلا، أو قارة أمريكا الجنوبية، أو غيرها من القارات هي أرض لله تعالى الذي له ملك السماوات والأرض، ومن يسكن في هذه القارات من الناس هم خلق الله تعالى، خلقهم لعبادته وحده لا شريك له، ولم يخلقهم لتستعبدهم الأحزاب السياسية الكافرة، فإذا تيقن المسلم بهذا الأصل من أصول الاعتقاد

تبين له نعمة الله تعالى على العباد، ورحمته بهم إذ شرع جهاد الطلب وهو قتال الكفار في قعر دارهم لتكون كلمة الله هي العليا، وتحرر الأرض من استيلاء الطواغيت عليها، ويحرر الناس من العبودية لغير الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ (إزالة الطاغوت) وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ (إقامة حكم الله في الأرض) فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩)﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣].

وعن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) [متفق عليه].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقه وحسابه على الله) [رواه البخاري].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا) متفق عليه.

وهذه الحكومات المعاصرة فقد وقعت في نواقض الإسلام العشرة-وزد فوقها عشرة-! ولكن هناك خمس نواقض (الكفر البواح) واضحة وظاهرة للعيان لا ينكرها أحد ممن له أدنى اطلاع على واقع المسلمين:

١- (التشريع) و (الحكم) بغير ما أنزل الله من الأنظمة والقوانين الكفرية، (والقتال دونها) كالنظام الديمقراطي أو الاشتراكي وكما في التشريع والإذن في (الربا) وتقنين القوانين المخالفة للشريعة في التعامل به، والقوانين التي شرّعوها في المحاكم التجارية

والعُمّاليـة، والقـوانين الوضـعية الـتي وضـعوها في المحـاكم العسـكرية والإعلاميـة؛ وغيرهـا... والله تعالى يقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

والله تعـالى قـد سمـى الحـاكم بغـير مـا أنـزل الله طـاغوتا، في قولـه تعـالى: ﴿أَلَمْ تَـرَ إِلَى الَّـذِينَ يَزْعُمُـونَ أَنَّهُـمْ آمَنُـوا بِمَـا أُنـزِلَ إِلَيْـكَ وَمَـا أُنـزِلَ مِـن قَبْلِـكَ يُرِيـدُونَ أَن يَتَحَـاكَمُوا إِلَى الطَّـاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠].

قـال الشـيخ عبـد الـرحمن السـعدي رحمـه الله تعـالى: "كـل مـن حكـم بغـير شـرع الله فهـو: طاغوت" [تيسير الكريم الرحمن: ١/٣٦٣].

فـإن مـن خصـائصِ وصـفات الله تعـالى أنـه المطـاع لذاتـه؛ فيطـاع في جميـع مـا أمـر لأنـه الله، ولأنـه المعبـود بحـق، ولأنـه لا يصـدر عنـه سـبحانه وتعـالى إلا مطلـق الحـق، ومطلـق العـدل؛ لكمـال أسمائـه الحسـنى وصـفاته العليـا.. فـإن زعـم مخلـوق لنفسـه هـذا الـزعم الكبـير؛ فقـال: أنا المطـاع لـذاتي؛ فكـل مـا يصـدر عـني مـن أمـر أو قـانون ملـزم للنـاس.. لا يسـعهم إلا طـاعتي واتبـاعي.. لا رأيَ لهـم إلا مـا أرى.. ولا خيـارَ ولا حـقَّ لهـم سـوى اتبـاعي وطـاعَتي في كـلِّ مـا يصـدرُ عـني.. فهـو حينئـذٍ ـ بهـذا الإدعـاءِ الكبـير ـ طـاغوت.. ومـن تابعـه وأقـره مـن النـاس علـى هـذا الإدعـاءِ.. فهـو مشـرك داخـلٌ في عبـادة الطـاغوتِ مـن دونِ الله تعـالى. وقـال تعـالى: ﴿فَـلاَ وَرَبِّـكَ لاَ يُؤْمِنُـونَ حَـتَّىَ يُحَكِّمُـوكَ فِيمَـا شَـجَرَ بَيْـنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِـدُواْ فِي أَنفُسِـهِمْ حَرَجًـا مِّمَّـا قَضَـيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

قـال شـيخ الإسـلام في (الفتـاوى ٢٨/٤٧١): "فكـل مـن خـرج عـن سـنة رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم وشـريعته، فقـد أقسـم الله بنفسـه المقدسـة أنـه لا يـؤمن حـتى يرضـى بحكـم رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم في جميـع مـا شـجر بيـنهم مـن أمـور الـدين والـدنيا، وحـتى لا يبقـى في قلوبهم حرج من حكمه، ودلائل القرآن على هذا الأصل كثيرة".

وقـال تعـالى: ﴿وَلاَ تَأْكُلُـواْ مِمَّـا لَمْ يُـذْكَرِ اسْـمُ اللَّهِ عَلَيْـهِ وَإِنَّـهُ لَفِسْـقٌ وَإِنَّ الشَّـيَاطِينَ لَيُوحُـونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام/١٢١].

أخـرج ابـن أبي حـاتم عـن الشـعبي رحمـه الله أنـه سـئل عـن قولـه ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُـوهُمْ إِنَّكُـمْ لَمُشْـرِكُونَ﴾ فقيـل تـزعم الخـوارج أنها في الأمـراء! قـال: كـذبوا إنمـا أنزلـت هـذه الآيـة في

المشركين، كانوا يخاصمون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون: أما ما قتل الله فلا تأكلوا منه - يعني الميتة - وأما ما قتلتم أنتم فتأكلون منه! فأنزل الله ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ قال: لئن أكلتم الميتة وأطعتموهم إنكم لمشركون".

فإن قيل: لا أحد من الحكام يقول أن الميتة كالمذبوحة! قلنا: نعم ربما! ولكنهم يقولون: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾! ولذلك يُبيحون الربا كإباحة البيع والتجارة ويُقيمون له المؤسسات والصروح الربوية الضخمة ويضعون له التشريعات المختلفة التي تبيحه وتحميه.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "نُكفّر من أشرك بالله، بعد ما نبين له الحجة على بطلان الشرك، وكذلك نكفر من حسّن الشرك للناس، وأقام الشبه الباطلة على إباحته، وكذلك من قام بسيفه، دون مشاهد الشرك، وقاتل بسيفه دونها، وأنكر وقاتل من يسعى في إزالتها" [الرسائل الشخصية].

٢- معاونة الكفار على المسلمين، بل الدخول معهم في تحالفات ضد المسلمين: (مكافحة الإرهاب)، والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

قال ابن حزم رحمه الله في (المحلى): "صح أن قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ إنما هو على ظاهره بأنه كافر من جملة الكفار، وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين".

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله في (فتاويه١/ ٢٧٤): "قد أجمع علماء الإسلام على أن من ظاهر الكفار على المسلمين وساعدهم عليهم بأي نوع من المساعدة فهو كافر مثله، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾"اهـ.

وقال صلى الله عليه وسلم: (حليف القوم منهم) [رواه الطبراني وصححه الألباني].

وهو مفسر لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ فإن القرآن والسنة يصدقان بعضهما البعض.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر: ١١].

فتأمل كيف كفّر الله من وعد المشركين ولو وعدا كاذبا بنصرتهم على المسلمين، وجعله من إخوان المشركين، فكيف بمن عقد معهم اتفاقيّات النصرة والمظاهرة على الموحدين وظاهرهم عليهم فعلاً بالمعلومات الأمنية وبالمال والتدريب والسلاح وبالملاحقة والقتل أو الحبس والمحاكمة والتسليم؟!

٣-٤- (تحريم وبغض والامتناع) عن بعض شرائع الإسلام الظاهرة -كالجهاد في سبيل الله- وسجن القائمين بها وتعذيبهم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٨) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٩)﴾ [محمد].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "وإذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد ومقصوده أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فمن منع هذا قوتل باتفاق المسلمين" [السياسة الشرعية، ص ١٣٢].

وقال رحمه الله في (المجموع ٢٨/٥٤٤-٥٤٥): "فإنَّ الله يقول في القرآن: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، والدين هو الطاعة، فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله وجب القتال حتى يكون الدين كله لله... وقد اتفق علماء المسلمين على أنَّ الطائفة الممتنعة إذا امتنعت عن بعض واجبات الإسلام الظاهرة المتواترة فإنَّه يجب قتالها، إذا تكلموا بالشهادتين وامتنعوا عن الصلاة والزكاة، أو صيام شهر رمضان أو حج البيت العتيق، أو عن الحكم بينهم بالكتاب والسنة، أو عن تحريم الفواحش، أو الخمر، أو نكاح ذوات المحارم، أو عن استحلال النفوس والأموال بغير حق، أو الربا، أو الميسر، أو الجهاد للكفار، أو عن ضربهم الجزية على أهل الكتاب، ونحو ذلك من شرائع الإسلام، فإنهم يقاتلون عليها حتى يكون الدين كله لله" اهـ.

قـال شـيخ المجاهـدين أسـامة رحمـه الله: "فـإن أمريكـا وأوروبا تعتـبران الجماعـات المجاهـدة في فلسـطين والشيشـان والعـراق وأفغانسـتان جماعـات إرهابيـة، فكيـف يمكـن الحـوار والتفـاهم مـع هـؤلاء بغـير السـلاح؟! وإن حكـام منطقتنـا يعتـبرون أمريكـا وأوروبا أصـدقاء وحلفـاء ويعتـبرون الجماعـات المجاهـدة ضـد الصـليبيين في العـراق وأفغانسـتان جماعـات إرهابيـة أيضـاً، فكيـف يمكـن التفـاهم مـع هـؤلاء أيضـاً بغـير سـلاح؟! هـؤلاء وهـؤلاء الـذين ينكـرون علينـا حقنـا في الـدفاع عـن ديننـا وأنفسـنا؛ حاصـل كلامهـم جميعـا، أن نخضـع ولا نجاهـد ونرضـى بالعبوديـة لهـم وهذا محال بإذن الله" اهـ.

و (تحليـل) مـا حـرم الله كـالربا والضـرائب والـزنا والخمـور، وذلـك بإعطـاء التصـاريح لهـا وتقنينهـا وحمايتهـا بقـوة النظـام والقـانون، وقـد وصـف الله المشـركين بأنهـم ﴿وَلا يُحَرِّمُـونَ مَـا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾.

قـال شـيخ الإسـلام رحمـه الله في (الفتـاوى ٣/٣٦٧): "والإنسـان مـتى حلـل الحـرام المجمـع عليـه أو حـرم الحـلال المجمـع عليـه أو بـدل الشـرع المجمـع عليـه كـان كـافراً مرتـداً باتفـاق الفقهاء".

وقـال شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة رحمـه الله لمـا سُـئِل عـن قتـال التتـار مـع نُطقهـم بالشـهادتين وزعمهـم باتبـاعهم أصـل الإسـلام: "... كـل طائفـة ممتنعـة عـن الالتـزام بشـرائع الإسـلام الظـاهرة مـن هـؤلاء القـوم أو غـيرهم فإنـه يجـب قتـالهم حـتى يلتزمـوا شـرائعه وإن كـانوا مـع ذلـك ناطقـين بالشـهادتين وملتـزمين بعـض شـرائعه كالصـلاة، كمـا قاتـل أبـو بكـر والصـحابة مـانعي الزكـاة، وعلـى هـذا اتفـق الفقهـاء بعـدهم، فأيّمـا طائفـة امتنعـت عـن الصـلوات المفروضـات أو الصـيام أو الحـج أو عـن التـزام جهـاد الكفـار... فـإن الطائفـة الممتنعـة تُقَاتَـل عليهـا وإن كانـت مقـرّة بهـا، وهـذا ممـا لا أعلـم فيـه خلافـاً بـين العلمـاء، وهـؤلاء عنـد المحققـين ليسـوا بمنزلـة البغـاة بـل هـم خارجون عن الإسلام" اهـ [الفتاوى ٢٨/٥٠٣].

وقـال فـيهم أيضًـا (٢٨/٥٤٦): "والتتـار وأشـباههم أعظـم خروجـاً عـن شـريعة الإسـلام مـن مـانعي الزكـاة والخـوارج مـن أهـل الطـائف الـذين امتنعـوا عـن تـرك الـربا، فمـن شـكَّ في قتـالهم فهـو

أجهـل النـاس بـدين الإسـلام، وحيـث وجـب قتـالهم قوتلـوا وإن كـان فـيهم المكـره باتفـاق المسلمين" اهـ.

وقـال رحمـه الله: "وإذا كـان السـلف قـد سمـوا مـانعي الزكـاة مرتـدين- مـع كـونهم يصـومون ويصـلون ولم يكونـوا يقـاتلون جماعـة المسـلمين- فكيـف بمـن صـار مـع أعـداء الله ورسـوله قـاتلا للمسلمين " [الفتاوى الكبرى: ٥٤٨/٢].

قـال الإمـام أبـو بكـر الجصـاص الحنفـي رحمـه الله: "... فـالمقيم علـى أكـل الـربا إن كـان مسـتحلا لـه فهـو كـافر، وإن كـان ممتنعـا بجماعـة تعضـده سـار فـيهم الإمـام بسـيرته في أهـل الـردة إن كـانوا قبـل ذلـك مـن جملـة أهـل الملـة، وإن اعترفـوا بتحريمـه وفعلـوه غـير مسـتحلين لـه قـاتلهم الإمـام إن كـانوا ممتنعـين حـتى يتوبـوا، وإن لم يكونـوا ممتنعـين ردعهـم عـن ذلـك بالضـرب والحـبس حتى ينتهوا" [أحكام القرآن للجصاص١ / ٥٧٢].

٥- التحـاكم إلى قـوانين المحكمـة الدوليـة ومجلـس الأمـن وحقـوق الإنسـان، قـال تعـالى: ﴿أَلَمْ تَـرَ إِلَى الَّـذِينَ يَزْعُمُـونَ أَنَّهُـمْ آمَنُـوا بِمَـا أُنـزِلَ إِلَيْـكَ وَمَـا أُنـزِلَ مِـن قَبْلِـكَ يُرِيـدُونَ أَن يَتَحَـاكَمُوا إِلَى الطَّـاغُوتِ وَقَـدْ أُمِـرُوا أَن يَكْفُـرُوا بِـهِ وَيُرِيـدُ الشَّـيْطَانُ أَن يُضِـلَّهُمْ ضَـلَالًا بَعِيـدًا﴾ [النساء: ٦٠].

فـاعتبر سـبحانه وتعـالى إيمـانهم زعمـاً وكـذباً لا حقيقـة لـه في القلـب ولا وجـود، وبرهـان ذلـك وعلامتـه أنهـم يريـدون أن يتحـاكموا إلى الطـاغوت – في أمـر مـن أمـور الـدين أو الـدنيا – رغم أنهم أمروا بالوحي أن يكفروا به ويتبرؤوا منه!

قـال ابـن القـيم رحمـه الله: "مـن تحـاكم أو حـاكم إلى غـير مـا جـاء بـه الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم فقـد حكَّـم الطـاغوت وتحـاكم إليـه" اهــ. قـال شـيخ المجاهـدين أسـامة رحمـه الله: "إن الصـليبية العالميـة مـع البوذيـة الوثنيـة هـم أصـحاب المقاعـد الخمسـة الدائمـة، وهـم أصـحاب مـا يسـمى بامتيـاز حـق "الفيتـو" في مـا يسـمى بــ (مجلـس الأمـن)، فأمريكـا وبريطانيـا يمثلـون النصـارى البروتسـتانت، وروسـيا تمثـل النصـارى الأرثـوذكس، وفرنسـا تمثـل النصـارى الكاثوليـك، والصين تمثل البوذيين والوثنيين في العالم.

وأما العالم الإسلامي المتمثل بسبع وخمسين دولة ويشكلون خمس أهل الأرض، وهم أكثر من ربع دول الأمم المتحدة، وإن ولاية واحدة من ولايات إحدى الدول الإسلامية عدد سكانها أكثر من عدد سكان فرنسا أو بريطانيا -كولاية البنجاب في باكستان - بل إن ولاية واحدةً من إحدى الدول الإسلامية مساحتها أكبر من مساحة بريطانيا ومقاربة لمساحة فرنسا -كولاية دارفور في السودان - ومع ذلك فلا مقعد لهم في مجلس الأمن.

وأنا هنا لا أطالب بذلك فذلك ظلم وإنما أصف واقع الحال، فتلك هيئة كفرية يكفر من رضي بقوانينها وهي أداة لتنفيذ القرارات الصليبية الصهيونية، ومنها قرارات الحروب ضدنا وتقسيم واحتلال أرضنا.

إنها حرب صليبية صهيونية ضد المسلمين" اهـ.

* **وعلى فرض أن هؤلاء الحكام غير كفار بأعيانهم! فالشرع الحكيم علق وجوب منازعتهم وقتالهم بـ (رؤية الشرك والكفر البواح) وعلى هذا إجماع العلماء**، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩)﴾ [الأنفال].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: "دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا" [متفق عليه].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لما سُئِل عن قتال التتار مع نُطقهم بالشهادتين وزعمهم باتباعهم أصل الإسلام: "... كل طائفة ممتنعة عن الالتزام بشرائع الإسلام الظاهرة من هؤلاء القوم أو غيرهم فإنه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتزمين بعض شرائعه كالصلاة، كما قاتل أبو بكر والصحابة مانعي الزكاة، وعلى هذا اتفق الفقهاء بعدهم، فأيّما طائفة امتنعت عن الصلوات المفروضات أو الصيام أو الحج أو عن التزام جهاد الكفار... فإن الطائفة الممتنعة تُقَاتَل عليها وإن كانت مقرّة بها، وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء، وهؤلاء عند المحققين ليسوا بمنزلة البغاة بل هم خارجون عن الإسلام" اهـ [الفتاوى ٥٠٣/٢٨].

*فكفر الحاكم من أكبر المنكرات، ورسولنا عليه الصلاة والسلام قد أمرنا بإزالة المنكر فقال: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) [رواه مسلم].

وعلى ذلك فنحن مطالبون شرعاً بإزالة منكر هذا الحاكم أي كفره، فإن لم يندفع منكره إلا بقتاله والخروج عليه بالسيف وجب ذلك، قال القرافي رحمه الله في (الذخيرة ٣٨٧/٣) عند تعداده لأسباب الجهاد: "السبب الأول وهو معتبر في أصل وجوبه ويتجه أن يكون: إزالة منكر الكفر فإنه أعظم المنكرات ومن علم منكراً وقدر على إزالته وجب عليه إزالته... " اهـ.

وقال القاضي عياض رحمه الله: "أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر، وعلى أنه لو طرأ عليه كفر وتغيير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته، ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل إن أمكنهم ذلك، فإن لم يقع ذلك إلا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر" صحيح مسلم بشرح النووي (٢٢٩/١٢).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "أنه – أي الإمام – ينعزل بالكفر إجماعًا، فيجب على كل مسلم القيام في ذلك فمن قوي على ذلك فله الثواب، ومن داهن فعليه الإثم، ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الأرض" [فتح الباري: ١٢٣/١٣].

بل قتال الحاكم إذا ارتد أولى وأوجب من قتال الكفرة إذا دخلوا بلاد المسلمين لثلاثة أوجه:

الأول: تغلظ الحكم، فإن حكم المرتد أغلظ من حكم الكافر الأصلي إجماعاً.

الثاني: خطورة الحال، وهذا من جهتين:

الأولى: أنه ليس من قصد دار الإسلام من خارجها كمن هو قارٌ لابث فيها، فالعدو الداخلي أخوف من العدو الخارجي كما لا يخفى، يقول ابن قدامة رحمه الله: "هؤلاء – أي المرتدون – أحقهم بالقتال؛ لأن تركهم ربما أغوى أمثالهم بالتشبه بهم والارتداد معهم" [المغني ٩٥/١٠].

الثانية: تمكن الحاكم المرتد وسلطانه على أرض الإسلام، فليس من قصد ديار المسلمين ودهمها وهو لا يملك منها شيئاً ولا سلطان له على شبر منها، كمن هو ممكن منها وهي تحت يده وسطوته.

الوجه الثالث: أن الحاكم المرتد أقرب إلينا من غيره، وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة ١٢٣].

قاعدة مهمة: يقول الإمام الأصولي محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: "إن الجمع بين الأدلة واجب متى ما أمكن بلا خلاف، لأن إعمال الدليلين أولى من إلغاء أحدهما" وهذا من تقدير واحترام كلام الله ورسوله؛ فإنه ما قدر الله حق قدره من أبطل كلاماً لله ورسوله يمكنه إعماله.

وقال الإمام أبو إسحق الشاطبي رحمه الله تعالى (باب في مأخذ أهل البدع في الاستدلال): "فشأن الراسخين تصور الشريعة صورة واحدة يخدم بعضها بعضا، كأعضاء الإنسان إذا صورت صورة مثمرة.

وشأن متبعي المتشابهات أخذ دليل ما أي دليل كان عفواً وأخذاً أوليا، وإن كان ثم يعارضه من كلي أو جزئي، فكأن العضو الواحد لا يعطي في مفهوم أحكام الشريعة حكما حقيقيا، فمتبعه متبع متشابه، ولا يتبعه إلا من في قلبه زيغ كما شهد الله به: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً﴾ [النساء: ١٢٢]" اهـ. (الاعتصام، ١/١٧٨).

ففي موضوعنا هذا: فرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال: (اسْمَعُوا وأَطِيعُوا، وَإِنِ استُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشيٌّ كأنَّ رأْسَهُ زَبِيبةٌ) [رواه البخاري].

هو الذي قال-أيضا: (وَلَوِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ (يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ) فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا) [رواه مسلم].

فهذا الحديث واضح الدلالة على أنه يشترط للسمع والطاعة أن يقود الإمام الرعية بكتاب الله، أما إذا لم يُحكّم فيهم شرع الله، فهذا لا سمع له ولا طاعة، وهذا يقتضي عزله.

وروى الإمام البخاري في صحيحه عن معاوية: قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين).

وروى مسلم في صحيحه عن عوف بن مالك: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم)، قيل: يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف؟ قال: (لا ما أقاموا فيكم الصلاة).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعناه فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان) [متفق عليه].

فمشروعية الخروج على الحاكم حاصلة بانتفاء أحد القيود السابقة: الحكم بكتاب الله أو إقامة الدين أو إقامة الصلاة أو عدم الخروج من الإسلام (الكفر البواح).

ولهذا فإن البخاري رحمه الله - في الباب الثاني بكتاب الفتن من صحيحه - لما ذكر أحاديث الصبر على الأئمة أتبعها بحديث عبادة ابن الصامت، إشارة منه إلى ما يقيد الصبر وعدم الخروج وكذلك صنع مسلم رحمه الله في كتاب الإمارة من صحيحه. فالصبر وعدم الخروج على الأئمة مقيد بعدم وقوعهم في الكفر الصريح، فإذا كفروا فقد وجب الخروج عليهم.

و (**الكفر البواح**) هو البيّن الواضح كتحكيم غير شرع الله في البلاد أو التحاكم لغير شرع الله كالقوانين أو الهيئات كهيئة الأمم المتحدة ونحوها، أو التشريع وسن القوانين، أو موالاة الكفار ومظاهرتهم على المسلمين أو ترك الصلاة أو صرف العبادة لغير الله كدعاء الأموات والاستغاثة بهم أو غيرها من نواقض الإسلام التي إذا فعلها الحاكم فقد ارتكب كفرا بواحا مما يوجب الحكم بردته وخلعه والخروج عليه.

فـإذا لم توجـد القـدرة علـى خلعـه بالقـوة فالواجـب أن يبـين للنـاس بطـلان ولايتـه علـى المسـلمين وأن لا يطـاع، ولا يعـاون بمـا يـدعم ويقـوي حكومتـه المتسـلطة علـى المسـلمين، وأن يسعى المسلمون في حالـة العجـز عـن قتالـه إلى إعـداد العـدة حـتى تحصـل القـدرة علـى جهـاده وعزله بالقوة.

فـلا يجـب علـى المسـلمين إذا تهيـأت لهـم الأسـباب وسـاعدتهم الأحـوال والظـروف أن ينتظـروا في كـل حـينٍ أن يـدخل بلادهـم ويـدهم أرضـهم (عـدو خـارجي)، فعنـدها فقـط ينتفضـون للقتـال، أمـا إذا لم يحصـل ذلـك فيوجَـبُ علـيهم كـف الأيـدي بـلا دليـل قـائم مـن كتـاب ولا سـنة...! ومـن يـدقق النظـر في السـلطات الحاكمـة في أكثـر الـبلاد الإسـلامية يجـد أنهـا بمقيـاس الإسـلام سـلطات كـافرة فـاجرة قـد اغتصـبت السـلطة بتـآمر مـع أعـداء الإسـلام في الخـارج ومـع زمـرة مـن المنـافقين في الـداخل، ولـذلك فمـوالاة ومناصـرة تلـك الحكومـات أمـر باطـل مـن الأسـاس، باعتبـار أنهـا حكومـات كـافرة كفـرًا بواحًـا لا لـبس فيـه ولا غمـوض، ولـذلك فتأييـدها والسـكوت عليهـا أمـر مخـالف للشـرع فكيـف بالـدفاع عنهـا ومناهضـة مـن يريد هـدمها؟! وعلى هـذا فليس كـل مـن خـرج على سلطة غير شرعية باغيًا بل قـد يكـون هـو صـاحب الحـق والعـدل ومـن يقـف في وجهـه أو يحـارب ضـده هـم البغـاة ولكـن رؤسـاء الـنظم الديكتاتوريـة في العصـر الحاضـر، كلمـا أحسـوا بيقظـة الشـعوب وصـحوتها واهتـدائها إلى الطريـق القـويم والمـنهج المسـتقيم، صـبوا عليهـا صـنوفًا مـن التنكيـل وألـوانًا مـن العقـاب والعـذاب ووصـفوها بأنهـا شـراذم متـآمرة، أو فئـات حاقـدة، أو فلـول مخدوعـة، أو جماعـات متحجـرة، وهـم لا يتريثـون حـتى يصـل الخطـر إلى مرحلـة الخـروج علـيهم، بـل إنهـم ليحسـبون علـى النـاس كلمـاتهم وأنفاسـهم وغـدوهم ورواحهـم، ويزجـون بعشـرات الآلاف مـن النـاس بمجـرد كلمـة لا تنـال رضـا صـاحب السيادة ولـو كانـت كلمـة حـق، فهـم لـيس لـديهم معيـار للحـق أو الباطـل سـوى رضـا الـرئيس أو غضـبه، فمـا يرضـيه حـق ومـا يغضـبه باطـل ولـو كـان الواقـع الحقيقـي خـلاف ذلـك، فهـم يريـدون مـن جميـع النـاس أن يمسـحوا مـن عقـولهم فكـرة حـق وعـدل أو ظلـم وجـور، وأن يطيعـوا الحـاكم طاعـة عميـاء، ويتبعـوهم تبعيـة عشـواء، بـلا سـؤال أو مناقشـة أو استفسار...

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وليس من شريعة الإسلام أن المسلمين ينتظرون عدوهم حتى يقدم عليهم، هذا لم يأمر الله به ولا رسوله ولا المسلمون، ولكن يجب على المسلمين أن يقصدوهم للجهاد في سبيل الله، وإن بدأوا هم بالحركة فلا يجوز تمكينهم حتى يعبروا ديار المسلمين، بل الواجب تقدم العساكر الإسلامية إلى ثغور المسلمين، فالله تعالى يختار للمسلمين في جميع الأمور ما فيه صلاح الدنيا والآخرة" اهـ جامع المسائل (٥/٢٠٦).

وبهذا التأصيل نرد على الذين يفرقون بين مشروعية الجهاد الداخلي والخارجي!

ويشترط لهذا المقصد (الثاني) القدرة على ذلك، ولا شرط لوجوبه سوى القدرة والاستطاعة.. والذي يحدد (الاستطاعة) من عدمها قيادات الجهاد وأهل الحل والعقد منهم.. فالأمر لهم وليس لغيرهم، فهم الأدرى في هذه المسألة! وفي هذا يقول ابن تيمية رحمه الله: "والواجب أن يعتبر في أمور الجهاد برأي أهل الدين الصحيح الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا، دون أهل الدنيا الذين يغلب عليهم النظر في ظاهر الدين فلا يؤخذ برأيهم، ولا برأي أهل الدين الذين لا خبرة لهم في الدنيا" [الفتاوى الكبرى ٥/٥٣٩].

وكما قال نابليون: "لا يمكن تعلّم الحرب إلا بالحرب!".

فإذا عدمت القدرة وجب الإعداد، **فليس هناك من حال تجيز للمسلم أن يخرج عن هذه الأحكام – الجهاد أو الإعداد لهذا الجهاد – قال ابن تيمية: "إذا سقط الجهاد للعجز عنه وجب الإعداد له، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"** [الفتاوى ٢٨/٢٥٩].

مع التّنبيه أنّ القدرة هي شرط وجوب لا شرط صحّة، فمن قاتلهم وقد أيقن بهلاكه وعدم حصول الغلبة فهو مجاهد مأجور غير مأزور، فإن عدمت القدرة على الإعداد وجبت الهجرة، فإن عدم القدرة عليها وجبت العزلة، وحينها يكون الأمر النّبويّ الماثل في حديث حذيفة – أمين سرّ النبي صلى الله عليه وسلم – هو الواجب اتّباعه: (فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك) [رواه البخاري ومسلم واللفظ له].

فـإن لم يكـن جهـاد ولا إعـداد! فكمـا قـال تعـالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (٤٥) وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٥- ٤٦].

فكمـا أن عـدم الإعـداد قرينـة صـريحة علـى عـدم الرغبـة في الخـروج للجهـاد، كـذلك فهـو قرينة على النفاق ومرض القلوب والعياذ بالله.

وقـال ابـن تيميـة في (الفتـاوى ٢٨/٤٣٨): "فهـذا إخبـار مـن الله بأن المـؤمن لا يسـتأذن الرسـول في تـرك الجهـاد، وإنمـا يسـتأذنه الـذين لا يؤمنـون، فكيـف بالتـارك مـن غـير اسـتئذان؟!" اهـ.

وقـال الجصـاص رحمـه الله في تفسـير قولـه تعـالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾: "العُدَّة مـا يُعِدُّه الإنسـان ويهيئـه لمـا يفعلـه في المسـتقبل، وهـو نظـير الأهْبَـة، **وهـذا يـدل علـى وجـوب الاسـتعداد للجهـاد قبـل وقـت وقوعـه**، وهـو نظـير قولـه تعـالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾" اهـ.

وقـال السعدي رحمـه الله: "يقـول تعـالى مبينـا أن المتخلفـين مـن المنـافقين قـد ظهـر مـنهم مـن القـرائن مـا يبـين أنهـم مـا قصـدوا الخـروج للجهـاد بالكليـة، وأن أعـذارهم الـتي اعتـذروها باطلـة، فـإن العـذر هـو المـانع الـذي يمنـع إذا بـذل العبـد وسـعه، وسـعى في أسـباب الخـروج، ثم منعـه مانع شرعي، فهذا الذي يعذر.

وأمـا هـؤلاء المنـافقون فـ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ أي: لاسـتعدوا وعملـوا مـا يمكنهم من الأسباب، ولكن لما لم يعدوا له عدة، علم أنهم ما أرادوا الخروج.

﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ معكـم في الخـروج للغـزو ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ قـدرا وقضـاء، وإن كـان قـد أمـرهم وحـثهم علـى الخـروج، وجعلهـم مقتـدرين عليـه، ولكـن بحكمتـه مـا أراد إعـانتهم، بـل خذلهم وثبطهم" اهـ.

وقـال الشـوكاني رحمـه الله: "﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦)﴾ قيـل: القائـل لهـم هـو الشيطان بما يلقيه إليهم من الوسوسة، وقيل: قاله بعضهم لبعض.

وقيل: قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم غضباً عليهم.

وقيل: هو عبارة عن الخذلان، أي أوقع الله في قلوبهم القعود خذلاناً لهم.

ومعنى: ﴿مَعَ الْقَاعِدِينَ (٨٦)﴾ أي: مع أولي الضرر من العميان، والمرضى، والنساء، والصبيان، وفيه من الذمّ لهم والإزراء عليهم والتنقص بهم ما لا يخفى" اهـ.

ونجد أن كلمة: ﴿قِيلَ﴾ قد بُنيتْ لما يُسَمَّ فاعله لإمكان أن يتعدد القائلون، فالله بتثبيطه لهم كأنه قال لهم: اقعدوا، والرسول صلى الله عليه وسلم قال لهم: اقعدوا، والشياطين حينما زينوا لهم القعود؛ كأنهم قالوا لهم: اقعدوا.

وقولهم بعضهم لبعض زيَّن لهم القعود، وهكذا أعطتنا كلمة واحدة عطاءات متعددة.

فالواجب الشرعي البديل عن الجهاد عند العجز: هو إعداد القوة لذلك والسعي لتحصيل الاستطاعة، وليس الواجب الشرعي عند سقوط الجهاد للعجز وانتفاء كونه خياراً شرعياً هو الانتقال للدعوة بالحسنى فقط! وهل الدعوة بالحسنى هي التي يرتفع بها (العجز والاستضعاف) وتُحصَّل عن طريقها القدرة والاستطاعة؟

فالجواب: إذا اكتمل للمسلمين الإعداد المادي قدر الاستطاعة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ مع مظنة الظفر فيجب الشروع في الجهاد ولا يؤجل من أجل إكمال الإعداد الإيماني، وهذا معناه أنه عند العجز عن الجهاد يجب السعي في الإعدادين المادي والإيماني معا، فمن سعى في الإعداد الإيماني وترك المادي أو أَجَّله، فقد أثم لترك المأمور به ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾.

أخي المسلم: إن أمر الإعداد والجهاد ليس بالتعقيد الذي يظنه الكثيرون، وإمكانية القيام به أيسر مما يُتوقع، ومجالاته متنوعة وكثيرة، ولا يعجز المسلم عن أن يكون له في بعضها نصيب، وبفضل الله تعالى فإن حالة الأمة اليوم أفضل بكثير مما كانت عليه قبل سنوات، سواء من جهة عدد المجاهدين، أو من جهة كثرة ساحات الجهات المفتوحة والتي شملت الأطراف والوسط [الجزائر، وأفغانستان، وباكستان، والشيشان، والعراق، وسوريا، واليمن، والصومال، وفلسطين، ومصر]، أو من جهة ما لديهم من الإمكانات العسكرية، وطرق ووسائل التدريب المختلفة، وهذا الخير العميم لم يأت نتيجة (الدعوة بالحسنى) فقط، ولا بتجنب الصدامات، وإنما جاء بعد توفيق الله، بجهود مضنية، وعمل دؤوب، وتضحيات باهظة، حتى من الله عز وجل

على المجاهدين بما منَّ، وأكرمهم بما أكرمهم وهو من سبل الخير التي هداهم إليها كما قال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت/٦٩]

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة/٥٤]

والأمر لا يحتاج إلا إلى توكل على الله أولاً ثم إلى همة وعزيمة وإصرار وصدق إرادة ثانياً، ولنأخذ العبرة من بعض ساحات الجهاد التي يخوض فيها المجاهدون أشرس الحروب مع أخبث أعدائها، فالمجاهدون في فلسطين حينما بدأوا الانتفاضة لم يكن لديهم من السلاح إلا الحجر —والحجر قليل- ثم لم يزالوا يتطورون شيئاً فشيئاً إلى المقلاع، إلى السكاكين والحراب، إلى البنادق، إلى العمليات الاستشهادية، إلى الصواريخ وغيرها، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت/٦٩].

الرسالة الرابعة: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(٤)

من يتخلف عن القتال المتعين فهو أحد ثلاثة أشخاص:

الأول: من عذره الله: قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾ (ولكن بشرط) ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩١].

قال ابن كثير رحمه الله: "فليس على هؤلاء حرج إذا قعدوا ونصحوا في حال قعودهم ولم يرجفوا بالناس ولم يثبطوهم".

وقال القرطبي: ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ إذا عرفوا الحق وأحبوا أولياءه وأبغضوا أعداءه".

وقال السعدي رحمه الله: "﴿ليس عليهم حرج﴾ بشرط أن ينصحوا لله ورسوله بأن يكونوا صادقي الإيمان وأن يكون من نيتهم وعزمهم أنهم لو قدروا لجاهدوا وأن يفعلوا ما يقدرون عليه من الحث والترغيب والتشجيع على الجهاد".

الثاني: من ظاهره القعود وهو من المجاهدين، كالعلماء الصادعين بالحق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله) [رواه الترمذي والحاكم عن جابر ﷺ].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أفضل الجهاد من قال كلمة حق عند سلطان جائر) [رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه].

أو من يجمع للمجاهدين الأموال أو يرصد لهم أهداف أو يخلفهم في أهاليهم خيرا.

الثالث: من يفرح بالقعود وترك الجهاد وليس له عذر شرعي مقبول عند الله، فهذا قد أتى بكبيرة من كبائر الذنوب وحكمه في كتاب الله: منافق وفاسق وظالم وهو إلى الكفر أقرب منه للإيمان ومفسد في الأرض وقد سقط في الفتنة وقد طبع الله على قلبه فهو لا يفقه ولا يعلم، وهو كالنساء (لا يركب فرساً ولا يحمل سلاحاً ولا يقاتل عدواً؟!).

---

(٤) [التوبة: ٢٤]

قال تعالى: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ في موضعين في سورة التوبة.

قال تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٥) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٥-٩٦].

قال السعدي رحمه الله: "وحاصل ما ذكره الله: أن المنافقون المتخلفين عن الجهاد من غير عذر إذا اعتذروا للمؤمنين وزعموا أن لهم أعذارا في تخلفهم، فإن المنافقين يريدون بذلك أن تعرضوا عنهم وترضوا وتقبلوا عذرهم، فأما قبول العذر منهم والرضا عنهم فلا حبا ولا كرامة لهم، وأما الإعراض عنهم فيعرض المؤمنون عنهم إعراضهم عن الأمور الردية والرجس".

ما هو السبب الحقيقي الذي ذكره الله في القرآن الذي تجعل الناس ترغب عن الجهاد؟

فالجواب: إنّ كل من يتخلف عن جهاد فرض العين بغير عذر شرعي لا بد أن يبدي سببا! لكن سببه وعذره ليس مقبولا عند الله كمن يقول نحن على ثغر (يقصدون به الدعوة والتعليم)!

فرد عليه أحد الفضلاء: نعم ولكن على ثغر النساء! وكمن يقول إن عندنا زوجات وأطفال! وكأن الصحابة ومن بعدهم من المجاهدين ليس عندهم نساء وأطفال! فلا تكاد تجد – قديماً وحديثاً – فيما يتعلل به المتعللون في تفلتهم من أداء عبادة الجهاد قولاً صريحاً بأنَّ داعيه إلى ذلك هو الجُبن، أو الخوف من الموت، أو تهيّب المخاطر، أو الحرص على الدنيا، أو مشقة مفارقة الولد والأهل والأوطان، وإنما غالباً ما تكسى تلك العلل العليلة ثوبَ النصح، أو العجز المسقِط للتكليف (عدم الاستطاعة)، أو الحرص على أرواح المجاهدين، أو الخوف من مآلات الأمور السيئة، ونحو ذلك... وذلك أن ما تكرهه النفس ويشق عليها فعله ويناقِض رغباتها ستجتهد في دفعه بكل وسيلة، وستنقب عن دقائق المعاذير لِتجنّبِه، وتسلك ضروب الحِيل للحيلولة دون تحمُّله، وما الجهاد إلا محلّ الابتلاء

والصبر، وموطن التمحيص والتمييز كما قال عز وجل: ﴿لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]

***والسبب الحقيقي الذي ذكره الله في القرآن الذي تجعل الناس ترغب عن الجهاد هو: الجبن وخشية الناس والخوف من الموت والتعلق في الدنيا! وإن قالوا بعد ذلك: ﴿إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا﴾!** والدليل على ذلك قول الذي يعلم السر وأخفى ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤] في الأسباب الحقيقية للتخلف عن الجهاد المفروض: ﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [محمد: ٢٠].

وقال الذي يعلم السر وأخفى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

وقال الذي يعلم السر وأخفى: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣].

قال ابن جرير رحمه الله: "فالله أولى أن تخافوا عقوبته بترككم جهادهم، وتحذروا سخطه عليكم من هؤلاء المشركين الذين لا يملكون لكم ضراً ولا نفعاً إلا بإذن الله"اهـ.

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧٧) أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٧-٧٨].

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

قال العلامة الخازن رحمه الله في تفسير هذه الآية: "فبين الله سبحانه وتعالى أنه يجب تحمل جميع المضار في الدنيا ليبقى الدين سليماً وأخبر أنه كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية

عندكم أولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة في سبيل الله ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ أي فانتظروا ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ يعني بقضائه وهذا أمر تهديد وتخويف... وفي هذا دليل على أنه إذا وقع تعارض بين مصالح الدين ومصالح الدنيا وجب على المسلمين ترجيح مصالح الدين على مصالح الدنيا" [لباب التأويل في معاني التنزيل: ٣ / ٢٤٢].

***أسلوب القرآن الكريم في الترغيب بالجهاد:**

الأسلوب الأول: أسلوب التلويح والتلميح:

١- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ **الحج: ٣٨.**

فإن قيل: كيف يدافع عنهم؟ ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩].

فالله قادر على تعجيل النصر وحسمه ولكنه يريد من المظلوم أن يأخذ بأسباب النصر ليعينه ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩)﴾ فقد جاء الإذن بالقتال عقب هذه الآية حتى لا يفهم بعض الناس أن مدافعة الله — وهو القوي العزيز- عن المؤمنين يُسقط عنهم تبعة الجهاد ويعفيهم من تكاليفه ومعاناته، فأذن الله سبحانه لهم بالقتال ليأخذوا له أهبته، ويحصلوا أسبابه، ويدافعوا به عدوهم، ويردوا عاديته مع علمهم أن الله ناصرهم ومؤيدهم ومدافعٌ عنهم، ففي الآيتين جمعٌ بين تمام التوكل وكمال الثقة بالله مع الأخذ بالأسباب الممكنة ولهذا قال الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

٢- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

فإن قيل: كيف ننصر الله لينصرنا؟ قال تعالى في الآيات قبلها: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٤-٦].

٣- قال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِماتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٧-٨].

فإن قيل: كيف يحق الحق؟ وكيف يقطع دابر الكافرين؟

قال تعالى في الآيات قبلها: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ (٦) وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٥-٧].

٤- قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ [الأنفال: ٥٩].

فإن قيل: هل نتكل على مجرد علمنا بقدرة الله تعالى على الانتقام من الكفرة وإنزال عقوبته بهم؟

فعقب الله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

قال العلامة الطاهر بن عاشور رحمه الله: "لأنّ قوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ يُفيد توهيناً لشأن المشركين، فتعقيبه بالأمر بالاستعداد لهم: لئلا يحسب المسلمون أنّ المشركين قد صاروا في مكنتهم، ويلزم من ذلك الاحتِراسِ أنّ الاستعداد لهم هو سبب جعْل اللَّهِ إيّاهم لا يُعجزون اللَّهَ ورسوله؛ لأنّ الله هيّأ أسباب استئصالهم ظاهرها وباطنها" [التحرير والتنوير: ٦ / ١٨٣].

الأسلوب الثاني: أسلوب الترغيب: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ (ولم يقل من ذنوبكم) وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣)﴾ [الصف: ١٠-١٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠].

وقال تعالى: ﴿ولا تقولوا لمن يُقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾ [البقرة: ١٥٤].

عن مسروق رحمه الله قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩)﴾ قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال: (أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا!، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا) [رواه مسلم، والترمذي].

وفي هذا الحديث: ثبوت الحياة للشهداءِ بعد مقتلهم، وأنها حياةٌ حقيقيةٌ فيها رزقٌ وفرحٌ وسرحٌ وكلامٌ.

قال ابن القيم رحمه الله: "وكل من خرج عن شيءٍ منه لله حَفِظَه الله عليه أو أعاضه الله ما هو أجل منه؛ ولهذا لما خرج الشهداء عن نفوسهم لله جعلهم الله أحياء عنده يرزقون، وعوضهم عن أبدانهم التي بذلوها له أبدان طير خضر جعل أرواحهم فيها تسرح في الجنة حيث شاءت وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش، ولما تركوا مساكنهم له عوضهم مساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم"اهـ.

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يا أبا سعيد من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ نبياً وجبت له الجنة) فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها علي يا رسول الله، ففعل ثم قال: (وأُخرى يُرفع بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل

درجتين كما بين السماء والأرض!) قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: (الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله) [رواه مسلم].

وعن المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (للشهيد عند الله ست خصال يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع فى سبعين من أقاربه) رواه أحمد، والترمذي –واللفظ له–، وابن ماجه، وصححه الشيخ الألباني.

قال القاري رحمه الله: "وينبغي أن يحمل قوله «ويرى مقعده» على أنه عطف تفسير لقوله يغفر له لئلا يزيد الخصال على ست، ولئلا يلزم التكرار.

وقوله: (يأمن من الفزع الأكبر): فيه إشارة إلى قوله تعالى: «لا يحزنهم الفزع الأكبر» قيل هو عذاب النار، وقيل العرض عليها، وقيل هو وقت يؤمر أهل النار بدخولها، وقيل ذبح الموت فييأس الكفار من التخلص من النار بالموت، وقيل وقت إطباق النار على الكفار، وقيل النفخة الأخيرة لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾" انتهى.

وفي الحديث: لما سعى الشهيد في بذل روحه لإعزاز الدِّين ورفعته وتعظيمه كافأه الله بإلباسه تاج الوقار الذي هو سبب العزة والعظمة والشرف، ففيه: معنى الجزاء من جنس العمل.

وقال صلى الله عليه وسلم: (عليكم بالجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى؛ فإنه باب من أبواب الجنة يُذهب الله به الهم والغم) [أخرجه الحاكم، انظر السلسلة الصحيحة].

وقال صلى الله عليه وسلم: (ألا أنبئكم بليلةٍ أفضل من ليلة القدر؟! حارس الحرس في أرض خوف لعله أن لا يرجع إلى أهله) [أخرجه الحاكم، انظر السلسلة الصحيحة].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أول ثلة تدخل الجنة الفقراء المهاجرون، الذين تتقى بهم المكاره، إذا أمروا سمعوا وأطاعوا، وإن كانت لرجل منهم حاجة إلى السلطان، لم تقض له حتى يموت وهي في

صـدره، وإن الله تعـالى يـدعو يـوم القيامـة الجنـة، فتـأتي بزخرفهـا وريهـا، فيقـول: أيـن عبـادي الـذين قـاتلوا في سـبيل الله، وقتلـوا في سـبيلي، وأوذوا في سـبيلي، وجاهـدوا في سـبيلي، ادخلـوا الجنـة، فيـدخلونها بغـير حسـاب ولا عـذاب فتـأتي الملائكـة، فيقولـون: ربنـا نحـن نسـبح لـك الليـل والنهـار، ونقـدس لـك مـن هـؤلاء الـذين آثـرتهم علينـا؟ فيقـول الـرب تبـارك وتعـالى: هـؤلاء الـذين قـاتلوا في سـبيلي، وأوذوا في سـبيلي، فتـدخل علـيهم الملائكـة مـن كـل باب: ﴿سَـلَامٌ عَلَـيْكُمْ بِمَـا صَـبَرْتُمْ فَـنِعْمَ عُقْـبَى الـدَّارِ (٢٤)﴾) [رواه الحـاكم –واللفـظ لـه– وقـال: حـديث صـحيح الإسـناد، ولم يخرجـاه، ووافقـه الـذهبي، انظر السلسلة الصحيحة].

الأسـلوب الثالـث: أسـلوب التصـريح والأمـر بـه: قـال تعـالى: ﴿كُتِـبَ عَلَـيْكُمُ الْقِتَـالُ وَهُـوَ كُـرْهٌ لَّكُـمْ ۖ وَعَسَـىٰ أَن تَكْرَهُـوا شَـيْئًا وَهُـوَ خَـيْرٌ لَّكُـمْ ۖ وَعَسَـىٰ أَن تُحِبُّـوا شَـيْئًا وَهُـوَ شَـرٌّ لَّكُـمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

فقولـه تعـالى: ﴿كُتِـبَ عَلَـيْكُمُ الْقِتَـالُ﴾ أي فُـرض.. وهـو كقولـه تعـالى: ﴿كُتِـبَ عَلَـيْكُمُ الصِّـيَامُ﴾ مـن حيـث دلالـة الوجـوب.. فكمـا أن الصـيام فـرض وكتـب علـى المـؤمنين كـذلك القتال والجهاد في سبيل الله فهو فرض وكتب على المؤمنين.

وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وقـال تعـالى: ﴿انفِـرُوا خِفَافًـا وَثِقَـالًا وَجَاهِـدُوا بِأَمْـوَالِكُمْ وَأَنفُسِـكُمْ فِي سَـبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُـمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

وقـــال تعـــالى: ﴿وَقَـــاتِلُوا الْمُشْـــرِكِينَ كَافَّـــةً كَمَـــا يُقَـــاتِلُونَكُمْ كَافَّـــةً ۚ وَاعْلَمُـــوا أَنَّ اللَّهَ مَـــعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

وقـال تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا خُـذُوا حِـذْرَكُمْ فَـانفِرُوا ثُبَـاتٍ أَوِ انفِـرُوا جَمِيعًـا﴾ [النسـاء: ٧١].

وقـال تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا قَـاتِلُوا الَّـذِينَ يَلُـونَكُم مِّـنَ الْكُفَّـارِ وَلْيَجِـدُوا فِـيكُمْ غِلْظَةً ۚ..﴾ [التوبة: ١٢٣].

وقـال تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا اسْـتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُـولِ إِذَا دَعَـاكُمْ لِمَـا يُحْيِـيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

أي لما فيه سبب حياتكم الحقيقية.. حياة القلوب والأبدان معاً.. ومما دعانا إليه النبي صلى الله عليه وسلم الجهاد في سبيل الله. وفي قوله تعالى: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ قال ابن الزبير: "أي للحرب التي أعزكم الله تعالى بها بعد الذل وقواكم بها بعد الضعف، ومنعكم من عدوكم بعد القهر منهم لكم".

وقال ابن إسحاق وابن قتيبة: "هو الجهاد الذي يحيي دينَهم ويُعليهم".

وآية السيف: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: ٥].

وقال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٤-١٥] ولا يمتثل بهذه الأوامر اليوم إلا المجاهدين فتأمل!

الأسلوب الرابع: أسلوب الوعيد والتهديد: وقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

قال الصحابي أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه: "إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما نصر الله نبيه وأظهر الإسلام قلنا هلم نقيم في أموالنا ونصلحها فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد" [رواه أبو داود والترمذي والنسائي].

وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٥٤].

قال تعالى: ﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [سورة محمد: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٩].

والعذاب هنا يشمل عذابي الدنيا والآخرة.. عذاب الدنيا لما يترتب على ترك الجهاد وتسليم الأعناق والحرمات لرحمة الطواغيت.. وعذاب الآخرة بسبب عصيان أمر الله تعالى بجهاد الطواغيت الظالمين! مصداق ذلك في السنة قوله صلى الله عليه وسلم: (ما ترك قوم الجهادَ إلا عمهم الله بالعذاب) [أخرجه الطبراني، انظر السلسلة الصحيحة].

وقال صلى الله عليه وسلم: (من لم يغز، أو يجهز غازياً، أو يخلف غازياً في أهله بخير، أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة) [رواه أبو داود وصححه الألباني].

فالمؤمن لا يجوز له إلا أن يكون واحداً من ثلاث: إما أن يكون غازياً في سبيل الله، وإما أن يخلف غازياً في أهله بالخير، وإما أن يجهز غازياً في سبيل الله.. فإن لم يكن واحداً من هؤلاء فلينتظر قارعة تنزل بساحته لا يعلم ماهيتها وحجمها إلا الله قبل يوم القيامة!

الأسلوب الخامس: أسلوب الفضح والطبع على القلوب: فإذا تعين الجهاد على الشخص وتخاذل عنه، فقد أتى بكبيرة من كبائر الذنوب.

قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله في (**الزواجر**): "**الكبيرة التسعون بعد الثلاثمائة: ترك الجهاد عند تعينه**" اهـ.

بل إنّ شيخ الإسلام رحمه الله بيّن أنّ تارك الجهاد الواجب يجب هجره، وقرنه بأهل البدع والزناة واللوطية، فقال رحمه الله: "وجماع الهجرة هي هجرة السيئات وأهلها، وكذلك هجران الدعاة إلى البدع، وهجران الفساق، وهجران من يخالط هؤلاء كلهم أو يعاونهم، وكذلك من يترك الجهاد الذي لا مصلحة لهم بدونه فإنه يعاقب بهجرهم له لما لم يعاونهم على البر والتقوى، فالزناة واللوطية وتارك الجهاد وأهل البدع وشربة الخمر هؤلاء كلهم مخالطتهم مضرة على دين الإسلام وليس فيهم معاونة لا على بر ولا على تقوى" [مجموع الفتاوى، ١٥/ ٣١٢].

وقد جاء وصفه في الكتاب والسنة بعدة صفات:

١- فيه شعبة من شعب النفاق قال صلى الله عليه وسلم: (من مات ولم يغزُ، ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق) [رواه مسلم].

فترك الجهاد والفرح بالقعود من صفات المنافقين قال سبحانه: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨١-٨٢].

قال شيخ الإسلام رحمه الله في (الفتاوى ٢٨/٣٥٠): "أكد الإيجاب، وعظم أمر الجهاد، في عامّة السور المدنية، وذمّ التاركين له، ووصفهم بالنفاق ومرض القلوب".

وقال رحمه الله: "وأما النفاق الأصغر: فهو النفاق في الأعمال ونحوها، مثل أن يكذب إذا حدث، ويخلف إذا وعد، ويخون إذا اؤتمن، ومن هذا الباب: الإعراض عن الجهاد فإنه من خصال المنافقين.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من نفاق).

وقد أنزل الله سورة براءة التي تسمى الفاضحة لأنها فضحت المنافقين.

أخرجا في الصحيحين عن ابن عباس، قال: "هي الفاضحة، ما زالت تنزل ومنهم ومنهم حتى ظنوا ألا يبقى أحد إلا ذكر فيها".

وعن المقداد بن الأسود قال: "هي سورة البحوث لأنها بحثت عن سرائر المنافقين".

وعن قتادة قال: "هي المثيرة لأنها أثارت مخازي المنافقين".

وعن ابن عباس قال: "هي المبعثرة" والبعثرة والإثارة متقاربان.

وهذه السورة نزلت في آخر مغازي النبي صلى الله عليه وسلم؛ غزوة تبوك، عام تسع من الهجرة، وقد عز الإسلام وظهر، فكشف الله فيها أحوال المنافقين، ووصفهم فيها بالجبن، وترك الجهاد، ووصفهم بالبخل عن النفقة في سبيل الله، والشح بالمال".

٢- فيه شعبة من شعب الكفر قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

٣- أنه ظالم قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

قال السعدي رحمه الله: "﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠)﴾ الذين ظلموا أنفسهم وتقاعدوا عن القتال في سبيله، وكأن في هذا تعريضا بذم المنافقين، وأنهم مبغضون لله، ولهذا ثبطهم عن القتال في سبيله".

٤- أنه فاسق قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

٥- أنه مفسد في الأرض قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ (٢٠) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ (٢١) فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٠-٢٢].

أَخرَج **عَبد بن حميد وَابن جَرِير** عن قتادة رحمه الله: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ﴾ الآية قال: "كل سورة أنزل فيها الجهاد فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين".

قال أبو محمد مكي بن أبي طالب رحمه الله في (الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره): "﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ هذه مخاطبة للمنافقين

الكارهين للجهاد، أي: فهل عسيتم أيها القوم لعلكم أن توليتم عن ما فرض الله عليكم من الجهاد أن تفسدوا في الأرض؛ أي: أن تعصوا الله ورسوله، وتعودوا لما كنتم عليه من سفك الدم وقطع الرحم، والتفرق بعدما جمعكم الإسلام وألف بين قلوبكم، هذا معنى قول قتادة وغيره".

٦- وقع في الفتنة قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: ٤٩].

روى **البيهقي** عن عروة أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه جد بن قيس وهو جالس في المسجد معه نفر فقال: يا رسول الله ائذن لي في القعود فإني ذو ضيعة وعلة لي بها عذر فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «تجهز فإنك موسر لعلك تحقب بعض بنات الأصفر» فقال: يا رسول الله ائذن لي ولا تفتني ببنات الأصفر فأنزل الله عز وجل فيه وفى أصحابه (ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) اهـ.

فالهروب من التكاليف الشرعية - ومنها الجهاد المتعين - بقصد تجنب الفتنة هو في حد ذاته فتنة.

قال الإمام المجاهد شيخ الإسلام رحمه الله: "ولما كان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله من الابتلاء والمحن ما يعرض به المرء للفتنة، صار في الناس من يتعلل لترك ما وجب عليه من ذلك بأنه يطلب السلامة من الفتنة، كما قال عن المنافقين: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ الآية... إنه طلب القعود ليسلم من فتنة النساء، فلا يفتتن بهن،... قال الله تعالى: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ يقول نفس إعراضه عن الجهاد الواجب ونكوله عنه وضعف إيمانه ومرض قلبه الذي زين له ترك الجهاد: فتنة عظيمة قد سقط فيها، فكيف يطلب التخلص من فتنة صغيرة لم تصبه بوقوعه في فتنة عظيمة قد أصابته؟

والله يقول: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾، فمن ترك القتال الذي أمر الله به لئلا تكون فتنة: فهو في الفتنة ساقط بما وقع فيه من ريب قلبه ومرض فؤاده، وتركه ما أمر الله به من الجهاد" اهـ. [مجموع الفتاوى: ٢٨/١٦٥].

٧- ملق بيده إلى التهلكة قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

أخرج **أبو داود والترمذي وصححه والنسائي** عن أسلم بن عمران قال: "كنا بالقسطنطينية، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى أهل الشام فضالة بن عبيد، فخرج صفّ عظيم من الروم، فصففنا لهم، فحمل رجل من المسلمين على صفّ الروم حتى دخل فيهم، فصاح الناس، وقالوا: سبحان الله! يلقي بيده إلى التهلكة! فقام أبو أيوب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا أيها الناس! إنكم تؤوّلون الآية هذا التأويل. وإنما أنزلت فينا هذه الآية معشر الأنصار، إنا لما أعزّ الله دينه، وكثر ناصروه، قال بعضنا لبعض سرّاً دون رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أموال الناس قد ضاعت، وإن الله قد أعزّ الإسلام، وكثر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها! فأنزل الله على نبيه يردّ علينا: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ فكانت التهلكة الإقامة في الأموال وإصلاحها وترك الغزو".

قال الإمام الطبري رحمه الله: "وكذلك التارك غزو المشركين وجهادهم في حال وجوب ذلك عليه في حال حاجة المسلمين إليه، مضيع فرضا، ملق بيده إلى التهلكة".

٨-٩-١٠- التعيير بالجلوس مع النساء والطبع على القلب وعدم الفقه والعلم

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ ۚ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٩٣].

قال ابن كثير رحمه الله: "ورضوا بأنفسهم بالعار والقعود في البلد مع النساء وهن الخوالف بعد خروج الجيش فإذا وقع الحرب كانوا أجبن الناس وإذا كان أمن كانوا أكثر الناس كلاما كما قال الله في الآية الأخرى: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ

أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ أي علت ألسنتهم بالكلام الحاد القوي في الأمن وفي الحرب أجبن الناس".

*__موقف وحال النبي__ صلى الله عليه وسلم __والصحابة رضي الله عنهم ونسائهم من القتال في سبيل الله:__

القتال في الجاهلية والإسلام من أوصاف الرجال وخصائصهم! كما أن تركه من أوصاف النساء وأخص خصائصهن، فإنهم ما كانوا يورثون النساء والأطفال في الجاهلية ويقولون: (كيف نعطي المال من لا يركب فرساً ولا يحمل سلاحاً ولا يقاتل عدواً؟!) وأما في الإسلام فقد قال عمر بن أبي ربيعة في ديوانه:

كُتب القتلُ والقتال علينا وعلى الغانياتِ جرّ الذيول

ولما بايع من الأنصار اثنا عشر رجلاً النبي صلى الله عليه وسلم في بيعة العقبة الأولى، سُميت تلك البيعة ببيعة النساء، لعدم ذكر القتال فيها!

قال الإمام ابن هشام عنهم: "فلقوه بالعقبة: وهي العقبة الأولى، فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء، وذلك قبل أن تفرض عليهم الحرب" [السيرة لابن هشام ٢/٦٨].

قال الإمام الحافظ أبو محمد عبد الغني المقدسي رحمه الله: "غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه خمساً وعشرين غزوة، هذا هو المشهور، قاله محمد بن إسحاق، وأبو معشر، وموسى بن عقبه، وغيرهم. وقيل: غزا سبعاً وعشرين، والبعوث والسرايا خمسون أو نحوها" اهـ. مختصر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه العشرة ص ٤٤.

وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم للغزو في غزوة تبوك وعمره صلى الله عليه وسلم فوق الستين سنة! فإلى كل من يدعي أنه من ورثة الأنبياء: كم غزوة غزوت في سبيل الله ورفع اللواء؟!! قال صلى الله عليه وسلم: "والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمدٍ بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأُقتل ثم أغزو فأُقتل، ثم أغزو فأُقتل" [رواه مسلم].

فهذا هو حال وموقف النبي صلى الله عليه وسلم، وأما موقف أصحابه الكرام رضي الله عنهم فقد حكى الله عنهم: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢].

وهذا عبد الله ابن أم مكتوم مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي استخلفه على المدينة مراراً كان رجلاً ضريراً وهو من أصحاب الأعذار قطعاً ينفر إلى الجهاد بنفسه ويحمل الراية بين الصفين يوم القادسية وليس له غرضٌ في ذلك إلا طلب الشهادة، ويستفيد بعذره الشرعي في الثبات وعدم الفرار، فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: "نزلت ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، فقال عبد الله بن أم مكتوم: أي رب أنزل عذري أنزل عذري. فأنزل الله: غير أولي الضرر. فجعلت بينهما. وكان بعد ذلك يغزو فيقول: ادفعوا إليَّ اللواء فإني أعمى لا أستطيع أن أفر وأقيموني بين الصفين" [الطبقات الكبرى: ٤/٢١٠].

وأما موقف نساء الصحابة: فيكفي أن نقرأ بعض تبويبات البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد: (باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء) (باب غزو المرأة في البحر) (باب حمل الرجل امرأته في الغزو دون بعض نسائه) (باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال)!

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "أيها الناس لقد دارت رحى الحرب، ونادى منادي الجهاد وتفتحت أبواب السماء، فإن لم تكونوا من فرسان الحرب فأفسحوا الطريق للنساء يدرن رحاها، واذهبوا وخذوا المجامر والمكاحل يا نساء بعمائم ولحى!" اهـ.

الرسالة الخامسة: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾(٥)

قال ابن كثير رحمه الله: "وقوله تعالى ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾ قال مجاهد وغير واحد: نزلت في المنافقين، وقال مقاتل بن حيان: ﴿لَيُبَطِّئَنَّ﴾ أي ليتخلفن عن الجهاد، ويحتمل: أن يكون المراد أنه يتباطأ هو في نفسه ويبطئ غيره عن الجهاد كما كان عبد الله بن أبي سلول قبحه الله يفعل يتأخر عن الجهاد ويثبط الناس عن الخروج فيه" اه.

وقد جاءت الآية القرآنية بعد ذكر حال المبطئين، مبينة الميزان الصحيح الذي لا اختلاف فيه، والذي ينبغي أن توزن به أحوال الجهاد والمجاهدين، ناسفة ذاك الميزان المضطرب الذي نصبه (المبطئون) لأنفسهم، يتكئون عليه، ويلجئون اليه، فقال تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤]، إنه ميزان (الأجر العظيم) الذي يتساوى في كفتيه (القتل) و (الغلبة) بل ربما كان - وكثيراً ما يكون - القتل فيه أعظم أجرا، وأكبر قدرا، وأثقل وزنا وأحق فوزاً، وهذا ما لا يفهمه (المبطئون) ولا يفقهه (المتثاقلون) قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٧].

إن عبادة (الجهاد) قد طابق فيها الاسم المسمى، وليست كما يريدها بعض الناس اليوم أن تكون، بحيث لا تتجاوز في فهمه وأمنيته رحلة هادئة، ونقلة هانئة، يبلغ سالكها غايته، وينال بغيته، من غير ما تعب ولا نصب، ولا ابتلاء أو دماء وأشلاء، فإن هذا التصور العقيم، ما كان أبداً ولن يكون واقعاً في عبادة تسمى (الجهاد) إذا كنا نفهم هذه العبادة على حقيقتها الشرعية الواقعية، وليست الخيالية الوهمية. فالتمحيص جزء لا ينفك عن هذه العبادة (الممحصة) البتة، فهي حاوية لكل صنوف المحن وأنواع الفتن وصور الابتلاءات، من الهزائم والتشريد، والأسر والقهر، وذهاب الأنفس ونقص الأموال، ومعاناة

(٥) [النساء:٧٢].

الجوع والخوف، ومشاق السفر ومكابدة السهر، ومفارقة الخلان وهجر الأوطان، إلى غير ذلك مما تعبر عنه كلمة (جهاد) من الجهد والمشاق.

فمثل هذه الظروف القاسية المتكاتفة، لن يتحمل معها أعباء عبادة الجهاد الشاقة في أصلها - علاوة على الظروف المعاصرة- إلا الصادقون المستيقنون وليسوا (المتهورين)! و (المتعجلين)! كما يسميهم بعض (المبطئين)! و (المتشاقلين)! فالمتربصون المبطئون الذين يقيسون نجاح المعارك بمقياس النتائج الذي رسموه في تصورهم، لا يوجد في حساباتهم إلا أمران اثنان يرجعون إليهما ويعتمدون عليهما، عند تقويم أي معركة، وهما (مصيبة، أو نصرٌ) فميزانهم دنيويٌ مجرد، أما مقياس الآخرة أو ميزان الأجور، فهذا لا يفكرون فيه، ولا يلتفتون إليه، ولا يعبئون به ولهذا تظهر خبايا نفوسهم، وخفايا قلوبهم، ودسائس صدورهم، - والتي تعبر عن مقياسهم وميزانهم- عند أول عاصفة محنة تهب عليهم، فإذا هم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، تنقله حيث شاءت، وتلقيه أينما أرادت، لخفته وهوانه، ولاختلال ميزانه، فلا يملك أحدهم عند حلول المصيبة، إلا أن يقول - شامتاً- وهو فرحٌ مرحٌ: ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا (٧٢)﴾ فتراه يعد حالته، ويحسب نجاته و (رويته) من نعم الله التي يشكره عليها! وتراه وهو في ملجئه، ومغارته ومدّخله، قد نصّب نفسه ناقداً بصيراً، وموجهاً خبيراً ومنظراً نحريراً، إذا تكلم تكلّم باللوم والعتاب، وليس في حديثه إلا ضمائر (الغيبة والخطاب) فقوله لا يعدو: (لو أنهم فعلوا) أو (لو أنكم فعلتم) أما أن يدرج نفسه بين العاملين حقاً ويضمها إلى جملة المتكلمين صدقاً، فيقول: (لو أننا فعلنا) فهذا ما لا يصدر عنه، ولا يكون منه! فالأمة تبحث عن (عبدالله بن المبارك) رحمه الله يتقدم صفوف المجاهدين، ويعاتب القاعدين:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا لعلمت أنك بالعبادة تلعب

الأمة تبحث عن (ابن تيمية) رحمه الله يكون شيخا للإسلام وشيخا للمجاهدين، يلعن (الياسق) ويكفّر التتار المعتدين... يُجلد ظهره دفاعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيكتب غير آبه بكيد البشر: (الصارم المسلول على شاتم الرسول)... الأمة تبحث عن قادة وعلماء (إذا كنت إمامي فكن أمامي)... الأمة لا تحتاج إلى أصحاب (ترشيد المشروع الجهادي)... لم يطلقوا في سبيل الله طلقة واحدة، لم ينم ليلة واحدة تحت زخات

الرصاص وزئير القنابل، لم ير قط دَماً إلا في أنابيب المختبرات..! تتربع على عرش الفضائيات، لا يفعلون شيئا إلا حمد الفائزين ولعن الخاسرين..!

قال نابليون: (ما أسهل أن تتحدث عن الشجاعة.. وأنت بعيد عن أرض المعركة)!

الجهاد ومعركة الشبهات: من أكثر السور التي ذكر فيها فضل الجهاد هي سورة التوبة، وأكثر سورة ذكر فيها المنافقون وصفاتهم هي سورة التوبة! وذلك -والله أعلم- أن المنافقين لا يظهرون على حقيقتهم إلا في الجهاد! فلا عجب إذاً أن تسمى سورة التوبة بالفاضحة، والمقشقشة، والبَحوث، والحافرة، والمنقِّرة، والمثيرة، والمبعثرة وغير ذلك من الأسماء التي تدل على الخلوص إلى أعماق قلوب المنافقين واستخراج ما فيها ليراه الناس مجسّداً في أقوالهم وأفعالهم ومراوغاتهم وحيلهم التي استسلموا لها وانساقوا لقيادها في معركة عسيرةٍ حاولوا جهدهم التخلّص منها والتملص من تحمّل مشاقِّها: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ٤٢].

وباختصار: إن حقيقة كثير من أعذار المشايخ وطلبة العلم -غير المعذورين شرعا- التي يحتجون بها على ترك الجهاد وقول الحق رد الله عليها بقوله: ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣].

﴿وَلا يَأْتُونَ البَأْسَ إلا قَلِيلا﴾ [الأحزاب: ١٨]!!! هذا المجمل ولنبدأ بالتفصيل!

الشبهة (١) دعاة جماعة (كما تكونوا يول عليكم) وجماعة (مش وقته!) ديدنهم ودينهم: **التأكيد على أن المجاهدين هم سبب كل الكوارث التي حلت بالأمة من تقتيل وتشريد وسجن وتضييق، وأنهم وراء جر الأمة إلى المهالك، وأن جهادهم و"صداماتهم" لم تجنِ على شعوبهم إلا الخراب والفساد، وأنهم لولا استفزازهم للدول المتجبرة وحكوماتها العميلة لما كان حال المسلمين على ما هو عليه من الشدائد والكروب والخطوب**، حتى يخيَّل للمرء أن الأمة كانت قبل انتشار الجهاد تعيش في أمنٍ وعدلٍ ورخاء دولةِ عمر بن الخطاب رضي الله عنه! وأن ترك الجهاد وطرق الأبواب الأخرى (الهجرة، العزلة، كتمان الإيمان، أو حتى الدخول في الديمقراطية الكفرية) هي الوسيلة الكفيلة

بالتوسعة على الناس ورفع المعاناة عنهم، والخروج من هذا المأزق المتضايق، أما الاستمرار في"الصدامات" والإصرار على محاولة إسقاط الحكومات المرتدة، ومناطحة الدول المستكبرة المحتلة، والاجتهاد في تحريض الناس على القتال، فكل ذلك نتيجته ما جربتم وذقتم ورأيتم.. سجونٌ وقبورٌ ومطاردةٌ وتشريدٌ وزيادة تسلط، إذاً يا أيها المجاهدون كفوا أيديكم لتكف "السلطات المختصة" أيديها! وإن استمررتم وأصررتم فلا تلوموا إلا أنفسكم، فعلى أهلها براقشُ تجني!

ونقول لهؤلاء: قال صلى الله عليه وسلم: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها» قلنا: يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ قال: «أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل تنزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن» قالوا وما الوهن؟ قال: «حب الحياة وكراهية الموت» رواه أبو داود وصححه الألباني. وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم» رواه أبو داود وصححه الألباني.

والحديثان بمعنى واحد، وهما بلا شك يصفان حال المسلمين اليوم، أحبوا الدنيا وكرهوا الموت وتركوا الجهاد، فسَلَّط الله عليهم الأمم الكافرة تسومهم الذل والهوان وهذه عقوبة قدرية واقعة لا محالة بتاركي الجهاد، كما قال الحق جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

فالعذاب الأليم في الآية، منه الذل المذكور في حديث ابن عمر، ومنه تداعي الأمم علينا المذكور في حديث ثوبان.

والخَلاَص من هذا يكون كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: (لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم) وهذا يكون بالعودة إلى الجهاد المذكور في أول الحديث، وهذا يتفق مع قول الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾، وقول الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾. وقد جاء في وصف الفرقة الناجية (ما أنا عليه وأصحابي) فهل كان الصحابة رضي الله عنهم ممن قال الله فيهم

﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨٧]، حاشاهم رضي الله عنهم، بل جاء وصفهم صريحاً بيّناً جليّاً واضحاً في الآية التي تليها ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التوبة: ٨٨].

فمن تحققت فيه هذه الصفات فهو على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وهو من الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، أما من طُبع على قلبه، ووصَفه الله بعدم الفقه فهذا لا يمكن أن يكون من الطائفة المنصورة: وإن طالت لحيته، وقصر ثوبه، وكبرت عمامته، واسودّت ناصيته، وكثرت تآليفه، وانتشرت في الفضائيات دروسه، واقتربت من السلاطين منزلته، وتذهّبت عبائته، وتفضّض ردائه..

الشبهة (٢) اشتراط التكافؤ: نقول هل اشتراط التكافؤ هو المساواة في العدة والعتاد والرجال أيضاً؟! إن التاريخ يشهد أنه ما من معركة انتصر فيها المسلمون على عدوهم وكانوا أكثر منه عدداً وعدة... بل العكس لاسيما في المعارك المشهورة كمعارك النبي صلى الله عليه وسلم بلا استثناء ومعارك أصحابه رضي الله عنهم كالقادسية واليرموك وغيرها في التاريخ كثير.. بل لما أعجب المسلمون بكثرتهم في حنين هزموا أول الأمر، كما قال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

وإن انتظار المعركة المتكافئة حتى ولو نسبيا كما قد يقال هو في الحقيقة يؤدي في النهاية إلى أن لا تكون معركة أصلا، بل العدو يزداد قوة وما يزيدنا الوقت إلا ضعفاً من حيث المنظور العسكري إذ هو المقصود هنا بالتكافؤ وأما من حيث جوانب أخرى فلا ينبغي إدراجها في الحساب هنا لأن ذلك لا يعد تكافؤاً... ولنا أن نسأل أين التكافؤ في غزوة مؤتة؟! والمسلون ثلاثة آلاف والعدو مائتا ألف نسبة لا تخطر على بال (١٠٠: ١، ٥) وإن شئت قلت كل مجاهد من المسلمين يقابل أكثر من ستة وستين مقاتلاً من العدو! ومع ذلك قاتل المسلون وأبلوا بلاءً حسناً حتى قتل قادة المعركة كلهم - زيد وجعفر وابن رواحة رضي الله عنهم أجمعين - ولقد كانوا ترددوا لما علموا بكثرة عدد العدو لكن ابن رواحة رضي الله عنه شجعهم على المضي ولما رجعوا لم يعاتبهم النبي صلى الله عليه وسلم

علـى دخـولهم المعركـة غـير المتكافئـة، بـل سماهـا رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم فتحـا! ففـي حـديث البخـاري: (... حـتى أخـذ الرايـة سـيف مـن سـيوف الله حـتى فـتح الله علـيهم). ومـن فوائـد هـذه الغـزوة؛ أن مـن مقاصـد الجهـاد إظهـار عـزة الإسـلام وهيبتـه وقوتـه وأن أهلـه لا يهابون الموت وإن لم يتحقق بذلك نصر حاسم كما هو الشأن في هذه الغزوة.

إن عـدم التكـافؤ هـو حـين يقصـر المسـلمون في إعـداد أنفسـهم ولا يبـذلون الوسـع والطاقـة في ذلـك أمـا حـين يأخـذون بقولـه تعـالى ﴿وَأَعِـدُّوا لَهُـمْ مَـا اسْـتَطَعْتُمْ مِـنْ قُـوَّةٍ﴾ فـإن مـا فـوق ذلك ليس مما كلفوا به.

الشـبهة (٣): أن الأعمـال الجهاديـة تـؤدي إلى ردة فعـل عنيفـة مـن العـدو قـد يـؤدي في نهايـة المطـاف إلى تعطيـل كثـير مـن مظـاهر الجهـاد بـل حـتى الجهـاد بالكلمـة والقلـم والنصـح والبيـان والأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر! فـالجواب: أولا: لقـد خـرج النـبي صـلى الله عليـه وسـلم يـوم بـدر يريـد عـير قـريش، إذاً لقـد كـان هدفـه ضـربة للعـدو عسـكرية واقتصـادية، ولنتأمـل هـذه الغـزوة: فلقـد كـان مـن المحتمـل بـل مـن شـبه المؤكـد أن النـبي صـلى الله عليـه وسـلم حـين يغـير علـى قافلـة قـريش التجاريـة أنـه سـيكون ردهـا عنيفـاً قاسـياً لأنهـا لا تحتمـل المسـاس بتجارتهـا واقتصـادها.. ويؤيـد ذلـك الواقـع حيـث اسـتنفرت قـريش قوتهـا ورجالهـا للـذود عـن تلـك القافلـة وخرجـت بخيلهـا وخيلائهـا لتـؤدب مـن همـوا بـذلك، مـع هـذا كلـه ومـع أن النـبي صـلى الله عليـه وسـلم يـدرك ذلـك فهـل اعتـبره مانعـاً مـن تنفيـذ تلـك العمليـة؟! بـل إن غـزوة أحـد مـا هـي ــ في الحقيقـة ــ إلا رد فعـل مـن قـريش علـى غـزوة بـدر وقـد كـانوا ينـوون اجتيـاح المدينـة، وحصـلت المصـيبة في هـذه الغـزوة علـى المسـلمين فهـل نـزل العتـاب مـن السـماء علـى تعجـل المسـلمين في بـدر وجـرهم العـدو إلـيهم؟! أم أن العتـاب كـان علـى معصـية القائـد والتعجـل إلى الـدنيا؟! وإذا كـان المسـلمون انتصـروا في بـدر فـإنهم لم يكونـوا يقطعـون بهـذه النتيجـة فلـو كـانوا أصـيبوا فهـل كـان ذلـك ليغـير الحكـم في أصـل خـروجهم للعـير بمعـنى أن يقـال: إنهـم إذاً جـروا قريشـا لمعركـة لا يكـافئونهم فيهـا وأثاروهـا علـيهم وتعجلـوا في ذلـك؟! والشـيء نفسه يقال في غزوة حنين وتبوك وكذلك مؤتة.

ثانيـا: إن هـذا المنطـق وهـو خشـية أن يجـر عمـل مـن أعمـال الجهـاد ردة فعـل عنيفـة مـن العـدو قـد يـؤدي في نهايـة المطـاف إلى تعطيـل كثـير مـن مظـاهر الجهـاد بـل حـتى الجهـاد بالكلمـة

والقلم والنصح والبيان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... فما من عملٍ من تلك الأعمال التي لا يحبها الكافرون أو الجاهلون والمعرضون إلا ويقابلها ردة فعل منهم تتفاوت شدةً وضعفاً، وإذا علم العدو الكافر أو المخالف الجاهل أن هذا الحس وهو خشية ردة الفعل يسيطر على أهل الحق فإنه سيشيع الإرهاب الفكري وبث الرعب ويشجع على ترسيخ هذا الإحساس حتى يبني له سياجاً دفاعياً لا يكلفه سوى حملات إعلامية إضافة إلى بعض التأديبات التي تؤكد أن ردة فعله قوية... ومن أخذ بهذا المنطق المشار إليه يلزمه أن لا يؤيد أي عمل في فلسطين لأن ردة الفعل اليهودية عنيفة والأمثلة كثيرة تقع كل يوم فما من عملية للمجاهدين في الأرض المقدسة يقتل فيها يهودي واحد أو يجرح إلا ويقابلها قصف عنيف ربما يسقط به عشرات وتضييق على العمّال الفلسطينيين وغير ذلك.

ثالثاً: لمَ نقيس الأمور بنتائجها الآنية الظاهرة؟! وإنما الميزان القسط هو تقييم أصل العمل إن كان مستوفياً للشروط وليس يضيره بعد ذلك أن لا يحقق الهدف منه.

إن القياس بالنتائج فحسب ليس من شأن المؤمنين الذين يعلمون أن النتائج بيد الله تعالى وما على العبد إلا أن يجتهد ويتحرى ومن ذلك الاستفادة والاعتبار من التجارب السابقة والمشاورة بين أهل الخبرة في ذلك ثم يعزم ويتوكل على الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فإذا أخذ المؤمن بذلك فإنه قد اجتهد فإن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد، وأما أن يقال بعد ذلك إن عملك حين لم يؤد النتيجة المطلوبة أو ترتب عليه مفسدة معينة فهو خطأ في أصله وتعجل فإن هذا خلل في التقييم والميزان.

وإذا هزم المسلم وانكسر وابتلي بقتل أو كلم أو أسر فهذا هو شأن الجهاد ولا ينبغي أن يعد ذلك من خطأ الأصل ما دام مبنيا على أسس صحيحة.

والله تعالى يقول: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ

الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران] فذلك كله من حِكم الجهاد ومن مراد الله تعالى فيه فما لنا نختزل كل ذلك في النصر الأرضي العاجل؟!

وفي **صحيح مسلم** عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من غازية أو سرية تغزو فتغنم وتسلم إلا كانوا قد تعجلوا ثلثى أجورهم وما من غازية أو سرية تخفق وتصاب إلا تم أجورهم).

وإذا كان هذا شأن المؤمنين فإن من صفات غيرهم أنهم تستخفهم النتائج ليلقوا باللآئمة على الأعمال التي أنتجتها والعاملين فيها.

كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

وقوله جل ذكره: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا (٧٢) وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٢-٧٣].

الشبهة (٤): هذه العمليات الجهادية يمكن أن تتسبب بسعي جاد لتصفية البؤر الجهادية في العالم خشية أن تفرز مثل هذا العمل، وهذا ربما ينعكس على فلسطين والشيشان وكشمير وغيرها من المناطق الإسلامية.. الخ.

نقول: هذه مفسدة لا يمكن أن تحصل أبداً لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول كما في الصحيحين وغيره: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك) فلا يمكن أبداً أن يصفي الكفار الرايات الجهادية ولو اجتمع الإنس والجن جميعاً فإن هذا الدين ماض والجهاد ماض إلى قيام الساعة.. فما بيّن الشرع أنه لن يحصل أبداً كيف بنا أن نجعله مفسدة تفضي إلى تعطيل الدليل والنكاية بالكفار؟! ثم إن هذه المفسدة أيضاً تردها السيرة، فالنبي صلى الله عليه وسلم بقتاله للكفار في بدر وأحد وتعرضه

لقوافلهم وتجارتهم جمعوا له الأحزاب من كل جانب، وحاصروه حتى وصفهم الله بقوله: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب: ١٠].

فجاء كفار قريش من فوق المدينة، ونقض اليهود العهد أسفل المدينة، وصرح بالنفاق داخل المدينة حتى قال أحد الصحابة (كان أحدنا لا يأمن أن يذهب لحاجته)!!!

وعلى مقياس هذه المصالح يقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم أخطأ وأثار الأحزاب عليه والذين هم أقوى منه عدداً وعدة -وحاشاه – وذلك بالتعرض للكفار وجرهم لحربه في المدينة، فطبيعة الجهاد أنه يثير العدو! وكيف بالنبي صلى الله عليه وسلم بعدما فتح الجزيرة وهو ضعيف القوة بالنسبة لفارس والروم ورغم ذلك يثيرهم عليه بدعوتهم وإرسال الجيوش لهم كجيش مؤتة وغزوته هو إلى تبوك؟!

الشبهة (٥): أن هذه العمليات الجهادية تجعل المسلمين في الغرب يعانون تضييقاً ويعرضون لبعض المضايقات والاعتداءات... هذا يفقدهم مصلحة ظاهرة إذ يعد الغرب متنفسا لكثير من المسلمين المضطهدين في بلادهم! نقول إن هذه المفسدة ليست كلية، والمصالح التي تعتبر لابد أن تكون كليه أي للمسلمين جميعاً أو على أقل الأحوال لأغلب المسلمين أو للأكثر عدداً على الأقل.. والمسلمون في أمريكا يبلغ تعدادهم كما تشير آخر إحصائيات المراكز الإسلامية ثمانية ملايين مسلم، يرتاد المساجد والمراكز الإسلامية مليون من هؤلاء على أكثر الأحوال كما تشير الإحصائية، وعدد الذين يسكنون أمريكا باعتبارها مهجراً لهم يهربون فيها من ملاحقة الطواغيت قد لا يتجاوز عدد من هذا حالهم خمسمائة مسلم بعد المبالغة، هؤلاء الذين يمكن القول بأن أمريكا تعتبر بالنسبة له المكان الوحيد الذي يأمن فيه من الفتنة، والبقية الباقية من المسلمين المهاجرين أغلبهم جاء للقمة العيش والبحث عن الدنيا.

وإذا كان كذلك فكيف نغلب مصلحة خمسمائة مسلم أو مليون أو حتى ثمانية ملايين على مصلحة أكثر من ثلاثمائة مليون مسلم على أقل الأحوال تضطهدهم أمريكا؟! فالشعب العراقي المسلم والبالغ عدده عشرين مليون مسلم محاصر من قبل أمريكا منذ عقد

من الزمان وقتل من جراء الحصار مليون ومئتي ألف مسلم أغلبهم من الأطفال وانشرت الأمراض الفتاكة فيهم بشكل مذهل، والشعب الأفغاني المسلم البالغ عدده ثلاثين مليون مسلم محاصرة من قبل أمريكا منذ عامين تقريباً وقتل في الحصار سبعون ألف مسلم، وانتشرت الأمراض والفقر بنسبة ٩٥٪ بين المسلمين، والشعب الفلسطيني المسلم محاصر ومشرد ومقتول من قبل أمريكا منذ أكثر من خمسين سنة، والشعب الأندونيسي البالغ عددهم مائتين وخمسين مليون مسلم مزقته أمريكا ونصّرته ولا زالت تحاصره بخطط تهدف إلى تفتيت دولته وتفتيت المسلمين، والفلبين كذلك مثلهم وغيرها من دول العالم الإسلامي... إن مراعاة مصلحة عدد قليل من المسلمين يعيشون في الغرب لنوفر لهم عيشاً هنيئاً وإهمال عشرات الملايين من المسلمين لم نفكر قط بمراعاة مصالحهم أو رفع الظلم عنهم، يعد ذلك من أعظم الظلم والعدوان على الشعوب الإسلامية.

الشبهة (٦) اشتراط القوة الإيمانية: من التناقض البيّن القول باشتراط قوة الإيمان لأي عبادة من العبادات؛ لأن هذه العبادات-أصلا- هي الوسيلة لزيادة الإيمان وبالزيادة منها يزداد الإيمان.

ولا يمكن أن تكون زيادة الإيمان متوقفة على حصول العبادات وفي الوقت نفسه يكون حصول العبادات متوقفا على زيادة الإيمان! فهذا دور وتسلسل في غاية الاستحالة. واشتراط قوة الإيمان للجهاد بالذات مسألة لا معنى لها؛ لأن الجهاد من أشد العبادات دلالة على قوة الإيمان لما فيه من التضحية والمشقة التي لا يصبر عليها إلا من كان قوي الإيمان ولهذا كان الشهيد لا يفتن في قبره لأنه قدم البراهين الدالة على صدق إيمانه.

وقد روى **النسائي في السنن** عن راشد بن سعد عن رجل من أصحاب النبيِّ -صلى الله عليه وسلم-: أن رجلا قال: «يا رسول الله، ما بالُ المؤمنينَ يُفْتَنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: (كَفَى ببارقةِ السُّيوف على رأسِهِ فتنة).

فالجهاد يجب على كل مسلم – غير معذور- مهما كانت درجة إيمانه في الضعف.

وقد أخبر الله تعالى عن ضعف إيمان الأعراب فقال: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]. ومع ذلك استنفرهم

بقوله: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٦].

وكان الرجل في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يدخل في الإسلام وأول ما يبدأ به من الأعمال هو الجهاد، فعن البراء رضي الله عنه قال: "أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل مقنع بالحديد فقال يا رسول الله أقاتل أو أسلم؟ قال: (أسلم ثم قاتل) فأسلم ثم قاتل فقتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عمل قليلا وأجر كثيرا)" [رواه البخاري].

وقد نص العلماء أن من عقيدة أهل السنة والجماعة: "الصلاة والجهاد خلف كل بر فاجر".

يقول الشوكاني رحمه الله في [نيل الأوطار: ٨/٤٤]: "وتجوز الاستعانة بالفساق على الكفار إجماعا".

شبهة (٧-٨) (المصالح والمفاسد وحفظ الأمن) في قتال (طواغيت الحكم):

يُطالبُ كثيرٌ من الناس بالمحافظة على الأمن، والرضا بالواقع، والسكوت عن العظائم الموجودة، والكبائر القائمة في بلاد المسلمين، وينظرون إلى الخسائر التي قد تكون في محاولة تغيير الواقع بالطريقة الشرعيَّة إن كان فيها ألمٌ وقرحٌ.

وهذه الحجَّة صحيحةٌ، وهذا المطلب مقبولٌ، لو كان الواقع مرضيًّا شرعًا، وكان العاملُ على تغييرِهِ يُريد الاستزادة من الخير، والاستكثار من نوافل الطاعاتِ، ويسعى إلى الكمال أو مُقاربتِهِ! أمَّا والواقع فيه من المنكرات والكبائر بل والشرك والكُفريَّات ما لا يُحتمل، فإنَّ تغييرَه من أوجب الواجبات، والمطالب بالمحافظة على الواقع لو وازن بين الواقع القائم بما فيه، والمفاسد التي يخشاها من التغيير علمَ أنَّ الواقع لا يمكن السكوت عنه واحتماله بحالٍ من الأحوالِ، ولكنَّه الإلفُ والاعتيادُ، الَّذي يجعل الناس يستسهلون ما نشأوا عليه أو تعوَّدوه وسهل عليهم، وكثرة المساسِ تُفقد الإحساسَ، والقلب الَّذي غشيته الذنوب، وغلفه الران، وطغت عليه الدنيا، لا يحرِّكه إلاَّ حظوظُ نفسِهِ، ولا يألمُ إلاَّ لدنياهُ الدنيَّةِ وشهواتِه.

وإلاَّ فهـل يسـتطيع مسـلمٌ احتمـال المحـاكم الطاغوتيَّـةِ الوضـعيَّةِ الـتي تحكـم بـين المسـلمين بدسـاتير كـافرةٍ وضـعيَّةٍ جـائرةٍ، وهـو يعلـمُ أنَّ هـذا مـن الكفـر الأكـبر المسـتبين؟! وهـل يقبـل قلـبٌ فيـه حيـاةٌ أن يُـدنّس بـلاد المسـلمين عامَّـة، وجزيـرة العـرب خاصَّـة، شـرذمةٌ مـن العلـوج الصـليبيين؟! وإذا احتمـل هـذا، فهـل يحتملـه مـع حـربهم للمسـلمين في كـل مكـان، وتقتـيلهم إخوانـه وانتهـاكهم أعـراض أخواتـهِ؟ وإذا كـان القلـب مـن حجـرٍ ولم يلـن لهـذا؛ فهـل يحتمـلُ بعـد أن يعلـم أنَّ المسـلمين الَّـذين قتّلـوا وشـرّدوا وأهلكـت ديارهـم وأمـوالهم، إنَّمـا كـان ضـربهُم والعـدوان علـيهم بطـائراتٍ تخـرج مـن بـلادهِ (جزيـرة العـرب) وجيـوشٍ تُقـاد مـن أرضـه؟! هـذا لـو لم يكـن مـن الله أمـرٌ صـريحٌ ظـاهرٌ، لا يُـدفع بمثـل هـذه الـتعلُّلاتِ والأباطيـل، فكيـف والأمـر صـريحٌ صـحيحٌ بـيّنٌ بقتـال المشـركين، مـن كفّـارٍ أصـليّين معتـدين، وخونـةٍ عمـلاءَ مرتـدِّين متسـلّطين على رقاب المسلمين؟

فليسـت القضـيَّةُ مكاسـبَ مقـدّرةً يُـراد الوصـول إليهـا فيُـدفع ذلـك بالمفاسـد الناجمـة عنهـا، بـل هـي مفاسـدُ قائمـةٌ، علـى صـدر الأُمَّـةِ جاثمـةٌ، والتغيـير إزالـةٌ للمفسـدةِ لا اسـتجلابٌ للمصـلحةِ، فلـو لم يكـن فيـه نـصٌّ لكـان العقـل السـويُّ، والفطـرة السـليمة مقتضِـيَينِ للعمـل على اقتلاع هذا الفساد، وإراحة العباد والبلاد.

ولـو كـان الفسـادُ لازمًـا مواضـعه، كامنًـا في مكامنـه، لا يتعـدَّى إلى النـاس ولا يُبـدِّلُ دينَهم، بـل لـو كـان يثبـت علـى حالـه ولا يزيـد كـلَّ يـومٍ في إفسـادِهِ، لكانـت حجَّـة المنـادي بالإبقـاءِ عليـه قريبـةً مـن القبـول، سـائغةً في العقـول، أمَّـا والفسـاد لا يسـلم منـه أحـدٌ، ولا يخلـو منـه بلـدٌ، ثمَّ هـو يزيـد كـلَّ يـومٍ ويتضـاعفُ، فمـن الحماقـة السـكوت والتعـامي عنـه، والمطالبـة بالإبقاء عليهِ.

وفسـادُ هـؤلاء الطواغيـت لـيس في الـدين فقـط فيحتملـه أهـل الـدنيا وعبّـاد الشـهوات فحسـب، بـل فسـادهم لكـل شـيءٍ في أمـر الـدنيا والـدين، فهـم محنـةٌ علـى العبـاد، جنايـةٌ علـى الـبلادِ، نهبـوا خـيراتِ الأمَّـة وأسـلموها إلى أعـدائها، وباعـوا في سـبيل عـروشٍ مـن صـورٍ كـلَّ ذي شأنٍ وخطرٍ.. وأمَّا شبهةُ الأمن فيُقال فيها:

أولاً: الأمـن مطلـبٌ شـرعيٌّ، وهـو نعمـةٌ مـن نعـم الله علـى عبـاده، وامـتنَّ الله بهـا علـى قـريشٍ فقـال: ﴿أَوَلَمْ يَـرَوْا أَنَّا جَعَلْنَـا حَرَمًـا آمِنًـا﴾ [العنكبوت: ٦٧] وقـال ﴿الَّـذِي أَطْعَمَهُـم مِّـن جُـوعٍ

وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤] ووعد بها المؤمنين: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

ثانيًا: لا يكون الأمن إلاَّ بحفظ الضروريات الخمس التي اجتمعت عليها الأديانُ، وأهمُّ هذه الضروريَّات وأولاها حفظ الدينِ، فليس لأحدٍ إغفال الأمن الديني عند الحديث عن الأمن، فمتى لم يأمن الإنسان على دينِه، لم يكن آمنًا ولم يكن ما هو فيه أمنًا.

ثالثًا: لا يمكن تحصيل الأمن بغير الطرق الشرعيَّة، فقد جعل الله الأمن للَّذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلمٍ، فمن أراد أن يحصِّل الأمن بغير الإيمان فقد ضلَّ السبيل، فضلاً عمّن يطالب بترك الإيمان لأجل الأمنِ.

رابعًا: الأمن نعمةٌ من نعم الله الدنيويَّة، ومثله العافية والسلامة من الآفات والأدواء، ولو فرض تعارض الأمنِ مع شيءٍ من الواجبات الشرعية وجب تقديم الواجب الشرعيّ، كما أنَّ الجهاد لا يسقط لاحتمال الجراحات فيه، ولا شكَّ أنَّ الجراحة من فقدان نعمة السلامة والعافية البدنيَّة، والاحتجاج بالأمن والمحافظة عليه من طريقة مشركي قريشٍ ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ٥٧] وأتبعَ سبحانه هذه الآية بقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨].

وقال سُبحانه: ﴿والفتنةُ أشدُّ من القتلِ﴾ مع كون القتلِ من أكبر صور ذهاب الأمنِ، ولكنَّ الفتنة التي هي الشركُ ومنه الحكم بغير ما أنزل الله أكبرُ منه، والعاقل فضلاً عن العالم يعلم أنَّ أدنى المفسدتين ترتكب لدفع الأعلى، خاصةً وقد نصَّ على ترجيح إحداهما على الأخرى.

قال سليمان بن سحمان رحمه الله: "إذا عرفت أن التحاكم إلى الطاغوت كفر، فقد ذكر الله في كتابه: أن الكفر أكبر من القتل، قال تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البَقَرَة: ٢١٧].

وقال: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البَقَرَة: ١٩١].

والفتنة هي الكفر، فلو اقتتلت البادية والحاضرة، حتى يذهبوا لكان أهون من أن ينصبوا في الأرض طاغوتاً يحكم بخلاف شريعة الإسلام، التي بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم" انتهى.

ولا بدَّ للإنسان من المرور بالخوف كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥)﴾ وإذا بُعث الرسل إلى أُممهم كان أمام من آمن منهم البلاءُ والامتحان يعقبهما اليُسر والفرج، وقد ذاق الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخوف مرارًا، حتى كان من أخبارهم في أحد والخندق وغيرها ما كان، وثبتوا وصبروا لعلمهم بأمر الله وحكمه، وعاقبة الاستجابة له والامتثال لأمره، ولما نوزع أبو بكرٍ الصديق رضي الله عنه في إخراج الجيوش من المدينة، وبقاء المدينة بلا حاميةٍ تحميها، قال قولته المشهورة: "والله لو أخذت الكلاب بأرجل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ما تركت إنفاذ الجيش"، أو كما قال رضي الله عنه. والله وليّ التوفيق.

الشبهة (٩) الاستضعاف! يوجد من الناس من تقول له: جاهد في سبيل الله، فيأتيك الجواب السهل المريح: لا أستطيع! أنا ضعيف! هكذا وبدون مقدّمات! يريح نفسه من عناء الواجب الضخم والحمل الثقيل الذي جعله الله اختباراً لكل طالبٍ للجنّة ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

مرضنا هو الذلّة، وليس القلّة.. قال صلى الله عليه وسلم: (إذا تبايعتم بالعينة ورضيتم بالزرع وأخذتم أذناب البقر وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذُلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم" [أخرجه أبو داود، السلسلة الصحيحة].

إنّ للضعيف سبيلاً إلى النصر بالإعداد والعمل الجادّ ليحصل النصر وتبرأ الذمّة، أمّا القعود والاعتذار بالضعف فهو سبيل الفاسقين، وعلامة على درب المنافقين! فليس التعذر بالضعف هو غاية المنى ونهاية خطوات هذا الدين، بل على الأمّة المسلمة أن تمضي قدما في تحسين ظروفها، وفي إزالة العوائق من طريقها، وعليهم أن لا يحمّلوا ضعفهم الحاضر على دين الله القوي المتين... وكل عاجزٍ عن القيام بعبادة الجهاد اليوم، إما أن يكون ذلك لعذر

شـرعي واضـح ممـا جـاء مصـرحاً بـه في آيات عـدة مـن كتـاب الله تعـالى، فيلـزم مـن اتصـف بشـيء مـن هـذه الأعـذار أن ينصـح لله ولرسـوله، حـتى تسـقط عنـه التبعـة سـقوطاً كليـاً، وإمـا أن يكـون عجـزه بسـبب تقصـير منـه وتفـريط، فعليـه أن يجتهـد في إزالـة ذلـك العجـز ودفعـه عـن نفسـه وعـن أمتـه حـتى يرفـع عنـه وعـنهم الإثم، والعجـز لا يحيـل (الفـرض عـين) إلى (فـرض كفايـة) وإنمـا يُسـقط التكليـف بالجهـاد لحظـة العجـز فقـط، ويوجـب حينئـذٍ العمـل والإعـداد علـى دفـع مـا تمَّ العجـز فيـه.. وافـتراض العجـز في أمـة أو شـعب مـن الشـعوب.. هـو هزيمـة نفسـية وإيمانيـة.. ولـيس عجـزاً حقيقيـاً يـبرر القعـود! ولـو أن كـل واحـد مـن آحـاد المسـلمين قـام بمـا يجـب عليـه وبمـا هـو في طوقـه ممـا يتعلـق بالجهـاد تحريضـاً، وإعـداداً، وإمـداداً، وقتـالاً، ودعـاءً، وحفظـاً لأسـر المجاهـدين والأسـرى والمهـاجرين، وتخـذيلاً للكـافرين، لمـا كانـت أمـة الإسـلام علـى مـا هـي عليـه اليـوم مـن "العجـز" الـذي يحـتج بـه مَـن يحـتج لإسـقاط فريضـة الجهـاد، فـانظر يا عبـد الله مـن أي الفـريقين أنـت، ومـا الـذي قمـت بـه وأديتـه حـتى تُسـقط عنـك الإثم... أمـا أن تـرى ديار الإسـلام مغتصـبة، وأحكـام الشـريعة معطلـة، وسـجون الكفـرة تكـتظ بإخوانـه الأسـرى، وأعـراض المسـلمات تنتهـك جهـاراً نهـاراً، وأمـوال المسـلمين تنهـب ويتقـوى بهـا أعـداؤهم، ثم تنهمـك في أمـور الـدنيا وكـأن أمـر الإسـلام لا يعنيـك، وبعـد ذلـك تتكـئ علـى أريكتـك وتقـول إننـا عـاجزون مستضـعفون فـلا إثم علينـا ولا حـرج، ولا تسـعى سـعياً حقيقيـاً وتجتهـد اجتهـاداً صـادقاً لإزالـة عجـزك والخـروج مـن استضـعافك فهـذا مـن علامـات النفـاق ولـيس مـن أسـباب سـقوط الإثم كمـا قـال الله تعـالى: ﴿وَلَـوْ أَرَادُوا الْخُـرُوجَ لَأَعَـدُّوا لَـهُ عُـدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦].

فـإن عجـزت الأمـة عـن جهـاد الكفـار والمرتـدين واستئصـالهم – ولـن تعجـز إلا مـن عنـد أنفسـها– فالبـديل حينئـذٍ يكمـن بالإعـداد والـتربص إلى أن تتـوفر للمسـلمين المقـدرة علـى جهـادهم واستئصـالهم وإراحـة الأمـة مـنهم، ومـن شـرهم.. ولـو بعـد حـين.. لا أن يتيهـوا في الأرض. إلى حيـث لا يعلمـون –كتيهـان بـني إسـرائيل– كمـا قـال تعـالى: ﴿وَأَعِـدُّوا لَهُـمْ مَـا اسْـتَطَعْتُمْ مِـنْ قُـوَّةٍ وَمِـنْ رِبَاطِ الْخَيْـلِ تُرْهِبُـونَ بِـهِ عَـدُوَّ اللَّهِ وَعَـدُوَّكُمْ وَآخَـرِينَ مِـنْ دُونِهِـمْ لا تَعْلَمُـونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُـمْ وَمَـا تُنْفِقُـوا مِـنْ شَـيْءٍ فِي سَـبِيلِ اللَّهِ يُـوَفَّ إِلَـيْكُمْ وَأَنْـتُمْ لا تُظْلَمُـونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

فالمسلم يتنقل بين خيارين: إما الجهاد في سبيل الله وإما الإعداد للجهاد.. فإن عجز عن الجهاد باشر الإعداد ليدفع عن نفسه العجز في جهاد أعداء الله.

الشبهة (١٠) قولهم عن المجاهدين: (لا هم أقاموا الدين ولا أبقوا على الدنيا)!

وهذا تضليلٌ للأجيال الناشئة من شباب الإسلام ويراد منه تكبيل الجهاد وتصفيد المجاهدين ليبقى الطغاة المجرمون الذين هم على الحقيقة (لا هم أقاموا الدين ولا أبقوا على الدنيا) يتنعمون بطغيانهم، ويتمادون في فسادهم وإفسادهم، وقد وجدوا لأنفسهم سياجاً (شرعياً) يصون عروشهم، ويدرأ عن جيوشهم، ويفسح لهم المجال في أن يفعلوا ما شاءوا وقد أمنوا تخريب "أهل الصدامات" الذين كانوا ينكدون الحياة وينغصون متعة العيش على "السلطات الحاكمة" وصدق الله إذ يقول: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١- ١٢].

ولا بأس من ذكر بعض تلك الأمور العظيمة من دين الله تعالى التي أقاموها المجاهدون وأعادوها حية غضة نضرة بعد أن كاد الطغاة من أهل الشرق والغرب أن يجتثوها من قلوب الناس كما أقصوها من واقعهم إلا من رحم الله فمن ذلك:

الأول: إحياء فريضة الجهاد قولاً وعملاً، ونشرِ فقهها بين الناس، وإعلام المسلمين من جهة الشرع أولاً والواقع ثانياً أن مخرجهم الوحيد مما هم فيه من ظلم الطغاة، والخضوع لأحكامهم، والتشرذم الواقع بينهم إنما هو بطريق الجهاد في سبيل الله.

وإيصال هذه الحقيقة للناس -ولو بصورة ناقصة- لم يكن بالأمر اليسير، بل كان دونها من البلاء والتمحيص والمحن ما لا يعلم قدره إلا الله وحده، أما اليوم وبفضل الله أولاً ثم بما أنعم به على المجاهدين من الصبر في ميدان القتال والمحاجة على حد سواء، فقد أصبحت أحكام الجهاد التي دفنت عقوداً ترجع إلى موضعها، وتأخذ حقها من البحث والتقرير، والمناظرة، والفتاوى.

الثاني: فضح الطغاة المجرمين، وكشف زيوفهم للناس، وإظهارهم على حقيقتهم، وما هم عليه من العداء السافر للإسلام، والولاء المطلق للكفار من اليهود والنصارى، وإدخالهم في دائرة من يجب جهادهم تماماً كما يجب جهاد غيرهم، وأن وطنيتهم وقوميتهم وقربهم

وأسماءهم وألسنتهم لا تشفع لهم ولا تمنع من منابذتهم، فكل منصف متجرد يدرك البون الشاسع بين ما كان عليه هؤلاء الحكام المرتدون من تبجيل شعوبهم لهم، وهتافها ليلا ونهاراً ببطولاتهم وشعاراتهم، وتمجيدها لهزائمهم ونكباتهم التي كسوها ثوب "الانتصارات والفتوحات" وبين ما آل إليه أمرهم من كراهية تلك الشعوب لهم، ونقمتها عليهم، بل واستخفافها بهم، ومعرفتها بعمالتهم وخيانتهم، وتيقنها بكذبهم ودجلهم، وإدراكها عداوتهم لدين الإسلام وتنكرهم له.

الثالث: تعزيز عقيدة الولاء والبراء في قلوب المسلمين، وهذا من أعظم ما أحيته فريضة الجهاد بعد انتشار صيتها، وهو أوثق عرى الإيمان، بل هو الطريق لاستكماله والذي به يتم التمكين في الأرض كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان" [رواه أبو داود].

الرابع: كشف ما تدعيه الدول الغربية الكافرة، من حريات مزيفة، ومساواة مزعومة، وتسامح مقنع، فانفضحت على رؤوس الأشهاد، وظهر للعيان، الحقيقة القرآنية الأصيلة التي بينها لنا الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١١٨-١٢٠].

فبسطوا أيديهم وألسنتهم بالسوء وساندت حكوماتهم سفهاءهم وأغرتهم بالاستهزاء الصريح بدين الإسلام والنيل من أصوله المقدسة وثلبها، وصعرت خدها فلم ترتض حتى بمجرد الاعتذار عما ارتكبه سفلتها، وأبت الأخذ على أيديهم وعدت أفعالهم الشنيعة لا تخرج عن دائرة "حرية التعبير" المقدسة، ولو أدت قداستها إلى نسف كل شيء مقدس عند المسلمين، وهذه الحقائق المذهلة لم تكن لتظهر للعيان، وتتميز بها سبيل المؤمنين عن سبيل المجرمين لولا الجهاد في سبيل الله والإصرار عليه والتمسك به.

الخـامس: تحطم تبجح ما يسمى بالدول "العظمى"، على جبال العقيدة الراسخة، وظهور غثائيتها للعالم، وأنها لم تكن سوى ورم عده الناس شحماً، فهذه أمريكا التي كانت إلى أمد قريب جداً يلهث لإرضائها أهل الشرق والغرب، حتى كأن ترسانتها وتقنياتها وقواتها لا يعجزها شيء، صارت وفي فترة وجيزة بالنسبة لأعمار الدول لاسيما الإمبراطوريات، سخرية للدنيا بأجمعها، وتجرأ عليها الضعيف قبل القوي، وغدا جيشها الذي لا يقهر مقهوراً مكسوراً لا هم له إلا البحث عن المخارج والتنقيب عن أسباب النجاة، فسيدهم (أوباما) اعترف بخسارة أمريكا من تغيير أجهزتها في المطارات بعد (غزوة عمر الفاروق النيجيري) فك الله أسره بخسارة (٥٠) مليار دولار!

الســادس: إشعار المسلمين أن عندهم من القوة الكامنة، والعزيمة الصارمة، ما لا يقف أمامها شيء من القوى مهما عظمت وبطرت، ألا وهي قوة الإيمان واليقين بالنصر، والتيقن بمعية الله تعالى، وأن الفئة القليلة الصابرة يمكنها أن تغلب الفئة الكثيرة الكافرة، وهذه المعاني بدأت تترسخ في قلوب عموم الأمة حتى أصبحت المعارك الشرسة التي يخوضها المجاهدون القلة مع أعدائهم في ساحات الجهاد المختلفة تشابه ما جرى في غزوة بدر التي جعلها الله فرقاناً وآية وبينة على أن هذا الدين دين الله تعالى، وأن أمر انتصاره وراء مجرد الأسباب المادية المحضة، ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

فغدا أعداء الله تعالى قبل غيرهم يبحثون عن مصدر القوة الغيبي الذي جعل المجاهدين يصبرون هذا الصبر، وينجزون هذا الإنجاز، ويحققون هذه الانتصارات التي عجزت عن عشر معشارها الدول الكبرى حينما تتناطح بعضها مع بعض، وكل ذلك جرى بتقدير الله وتدبيره، وتوفيقه وتسديده ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٨].

الســابع: انفضاح المنافقين والذين في قلوبهم مرض، وظهورهم بصفاتهم المختلفة التي ذكرها القرآن، وانكشف قناع الشك عن رؤوس الزنادقة الذين كانوا ينسجون حبائلهم بخفية ومكر للإيقاع بأمتنا، وظهر أيضاً السماعون لهؤلاء، الذين هزتهم الشبهات، وضعضعتهم الأراجيف، وبان من بكى ممن تباكى، وهذا هو دأب الجهاد في كل حين، فلا تكاد تظهر الأعذار، وتبرز الأكدار، وتنجلي الأوضار، إلا حينما ترفع رايته، وينادي

داعيه، وتشتد وطأته، وتعظم زلزلته، فعندها ستلجأ كل طائفة لجنسها وتلوذ بوصفها، فتسمع مَن يقول ما قاله قدماؤهم وإن بلحن جديد، وكساء عصري: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا * وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٢- ١٣].

وستجد الناصحين الذين لا يكتفون بقعودهم بل يجتهدون لتثبيط أولي الهمم من غيرهم فيقولون لهم: ﴿لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ [التوبة: ٨١].

وتكاد ترى ما حكاه لنا القرآن عياناً بياناً لا يخفى منه شيء: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٩].

وقد ظهرت هذه الأصناف في أمتنا، وعرف الناس أكثرها، وأدركوا خطرها، ونعوذ بالله من حالهم وشرهم وضلالهم وإضلالهم.

ثم إن المفهوم الشامل لإقامة الدين ليس مقصوراً فقط على إقامة دولة للإسلام والتمكين له، وإن كان هذا تمام الإقامة وهو الغاية القصوى التي يرنو إليها كل مسلم مخلصٍ، بل كل سعي وجهد وعمل يؤدي إلى هذا المقصد هو جزء من إقامة الدين، وهو داخل في حقيقته، بل الاجتهاد في إحياء أي عمل من أعمال الشرع التي أمر بها وأدائها على الوجه الذي يحبه الله ويرضاه يعد داخلاً في مفهوم إقامة الدين، وقوة دخوله في المعنى بحسب منزلته في الشرع، ولهذا كان أعظمها وأكملها توحيد الله عز وجل الذي جاءت به ودعت إليه الرسل كافة، كما قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

الشبهة (١١) مفهوم خاطئ لكيفية النصر والتمكين: حين ترى النعيم الدنيوي في يد عدو الله فلك أن تقول: "طيباتهم عجلت لهم" لكن أن تراهم هازمين لنا، مستعلين على ذلتنا فمن الافتراء على حكمة الله أن تقول: "طيباتهم عجلت لهم"، بل الكلمة الصحيحة: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾... ولو سألت رجلا قاعدا عن الجهاد عن الطريقة المثلى لتحقيق النّصر على الأعداء لأجابك بنفس مطمئنّة أنّ الطريق الصحيح: هو الدعاء (سلاح المؤمن) وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة فقط!

فنقول له: الذي قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] هو الذي قال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

والذي قال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [النور: ٥٦] هو الذي قال: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا (٨٤)﴾ [النساء].

والذي قال: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١] هو الذي قال: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: ٥].

والذي قال: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء: ٣]. هو الذي قال: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

وقال أيضا: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٩].

يقول ابن تيمية رحمه الله في (**الفرقان**): "حكم الله نوعان: خلق وأمر... وكثير من الناس تشتبه عليهم الحقائق الأمرية الدينية الإيمانية بالحقائق الخلقية القدرية الكونية، فإن الله سبحانه له الخلق والأمر، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]. فهو سبحانه خالق كل شيء وربه ومليكه لا خالق غيره ولا رب سواه ما شاء

كان، وما لم يشأ لم يكن، فكل ما في الوجود من حركة وسكون بإرادته وقدره ومشيئته وقدرته وخلقه، وهو سبحانه أمر بطاعته وطاعة رسله، ونهى عن معصيته ومعصية رسله أمر بالتوحيد والإخلاص ونهى عن الإشراك بالله" اهـ.

وقال العلامة الطاهر بن عاشور رحمه الله: "والعقوبات الدنيوية مصائب تترتّب على إهمال أسباب النجاح، وبخاصّة ترك الانتصاح بنصائح الرسول عليه الصلاة والسلام، كما أصابهم يوم أُحد، فالمقصود تهديدهم بأنّهم إن تقاعدوا عن النفير هاجمهم العدوّ في ديارهم فاستأصلوهم وأتى الله بقوم غيرهم" [التحرير والتنوير٦/٢٨٦].

والله أمر بالطاعة والعبادة في الأحوال المختلفة، من المنشط والمكره والعسر واليسر، وهو عزّ وجلّ يُحبُّ أعمالاً في مواطنَ من مواطنِ اليسر، وأخرى في مواطن من مواطن اليُسر، فشاءت حكمته أن يتقلّب عبادُهُ بين حالي العسر واليسر، والرخاء والضُّرّ، ليعلم سبحانه الشاكرين الصابرين.

فمن كان عبدًا لله حقّ العبودية، لم يتوانَ في شيءٍ من الأحوال عن خدمة سيّده والامتثال لأمرِه، ولم يخلّ بعبوديّته في حالي عسره ويُسره، وغناه وفقره.

وإذا كان هذا في العبادة عمومًا، فإنَّ ذروةَ السَّنامِ وسياج الإسلام: الجهاد في سبيل الله الذي ميزَ بما فيه من القرح والبأس والشدّة والألم والجراحة والقتلِ والأسرِ، مع نقص الأموال والثمراتِ، وتلف الأنفسِ وفقدانِ كثيرٍ مما تألفه النفس وترى أن لا غنى عنه، إنَّ هذه الشعيرة العظيمة النفيسة لأبينُ موطنٍ تظهرُ فيهِ هذه العبوديَّةُ ويُخاطب المكلَّف فيها بالصبر على الحالين، فقد أُمر الناس ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وفي غير هذا الطريق وامتثال جميع الأوامر فلن نزداد إلا ذلا وهوانا على الله وعلى الناس! ولا نلوم إلا أنفسنا! ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥)﴾ [آل عمران].

وقد أخبرنا الله تعالى أن كل مصيبة حلت بنا سواء في أنفسنا أو أهلينا أو أموالنا فمرجعها إلى المعاصي وما كسبت الأيدي كما قال سبحانه: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

وهذه كما أنها قضية عامة، وأصل كلي دلت عليه أدلة أخرى، إلا أن الجهاد بخصوصه قد جاءت آيات وأحاديث تدل على أن من المصائب ما يترتب على تركه مباشرة، فمن الخطأ إذاً حينما نقرر هذه المسألة وندعو الناس إلى التوبة والاستغفار وترك المعاصي والإقلاع عن الذنوب من الخطأ أن نحصر أفهامهم في خطايا محددة ونصرفهم إليها ونحول بينهم وبين تعريفهم بالسبب الخاص والمباشر في بعض ما نزل عليهم من العقاب والمصائب، والذي لا يمكن التوصل إلى رفعها وإزالتها أو تخفيفها إلا بالتوبة منه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٩].

ولا يعني هذا أننا نهون من شأن باقي المعاصي والموبقات، فإننا نعلم أن شريعة الله يرتبط بعضها ببعض، وهي كالجسد الواحد يزداد قوة باكتماله ويضعف بذهاب شيء من أعضائه، وأنه بقدر حسن علاقتنا بالله عز وجل وبحسب استجابتنا لأمره وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم -ومنه الجهاد- يتنزل علينا نصر الله، ويدافع عنا، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

فنحن مأمورون بفعل الأسباب والله سبحانه علق في هذه الدنيا الأسباب بالمسببات، ولسنا مأمورون بالنتائج، فقيامنا بالجهاد هو قيام بما فرضه الله علينا، ونحن إن قمنا بالجهاد قمنا بواجب شرعي والنصر إنما يكون من عند الله، وليس معنى ذلك أننا لا نسعى لتحصيل أسباب النصر، بل نسعى لتحصيل الأسباب ومن أسباب النصر الجهاد، فكما أن التوبة والرجوع إلى الله وتوحيده من أسباب النصر، فكذلك الجهاد هو من أسباب النصر، والنبي صلى الله عليه وسلم بين أن من أسباب ذل المسلمين وضعفهم ترك الجهاد كما قال صلى الله عليه وسلم: (إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم) [رواه أبو داود]، ففي هذا الحديث بين النبي صلى الله عليه وسلم أسباباً للذل والهوان ومجملها يدل على أنه سببين هما:

١- الركون إلى الدنيا، وهو ما يشير إليه التبايع بالعينة والاشتغال بالحراثة والزراعة.

٢- ترك الجهاد، وكما قال عمر رضي الله عنه: (ما ترك قومٌ الجهاد إلا ذلّوا).

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب) [رواه الطبراني وحسنه الألباني].

ليسمع هذا أولئك الذين ركنوا إلى الدنيا وأجمعوا على خذلان الإسلام والمسلمين واستندوا إلى قوله تعالى: ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

لِيُبَرّروا قعودهم وتخاذلهم وركونهم إلى الدنيا، وجعلوا الذي يخرج لجهاد الكفار داخلاً في حكم الآية ليرجعوا إلى تفسير الكتاب والسنة والسلف لمعنى الإلقاء بالنفس إلى التهلكة ليعرفوا من هم الذين ألقوا بأيديهم إلى التهلكة، هل هم الذين خرجوا لنصرة دين الله وإعلاء كلمته أم الذين ركنوا إلى الدنيا وزينتها ورواتبها ومناصبها.

الشبهة (١٢) دعوى التفرغ للعلم والدعوة: إن عَلَم الجهاد لم يزل مشرعاً منذ زمن النبوة، وتصرفت أحكامه في ذاك العصر بين فرض الكفاية تارة وفرض العين تارة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج إليه بنفسه الشريفة ووراءه سادات العلماء من الصحابة الأجلاء وهم يجاهدون معه ويتفقهون على يديه، ويأخذون عنه أحكام الدين لحظة لحظة، وما منعهم ضرب الهام من تلقي الأحكام، وهكذا استمر الأمر زمن الخلفاء الراشدين، فكان القراء هم قادة الجيوش ووقود المعارك، يقاتلون ويحرضون ويعلمون، وما شعروا طرفة عين أن هناك تعارضاً ولا تناقضاً ولا تدافعاً بين نشر العلم باللسان والقتال من أجله بالسنان، ولهذا فلا تكاد تجد أحدهم يحتج لقعوده عن النفير بتفرغه لطلب العلم، ومع أن الجهاد في تلك العصور كان فرض كفاية في الجملة إلا أن علماء الأمة وسادتها كانوا يحرصون أشد الحرص على النفير خشية أن يلحقهم الوعيد الشديد الذي جاء في حق تاركه، فهذا أبو طلحة رضي الله عنه: قرأ سورة براءة، فأتى على هذه الآية: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فقال أرى ربنا يستنفرنا شيوخًا وشَبَابًا، جهزوني يا بَنِيَّ. فقال بنوه: يرحمك الله، قد غزوت مع رسول الله حتى مات، ومع أبي بكر حتى مات، ومع عمر حتى مات، فنحن نغزو عنك. فأبى، فركب البحر فمات، فلم يجدوا له جزيرة يدفنوه فيها إلا بعد تسعة أيام، فلم يتغير، فدفنوه بها" [تفسير ابن كثير: ٤/١٥٦]، وهذا أبو حذيفة الصحابي الجليل ينادي يوم اليمامة وقد استحر القتل واستعر لهيب الحرب: "يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال"، وقصص التاريخ مليئة بتلاحم العلم بالجهاد، واندماج

العلمـاء بالمجاهـدين، فكـان أمرهمـا في كـل حـين كجنـاحي الطـائر، وهـي الصـفة الـتي جـاء بهـا هـذا الـدين كمـا قـال الله تعـالى: ﴿لَقَـدْ أَرْسَـلْنَا رُسُـلَنَا بِالْبَيِّنَـاتِ وَأَنْزَلْنَـا مَعَهُـمُ الْكِتَـابَ وَالْمِيـزَانَ لِيَقُـومَ النَّـاسُ بِالْقِسْـطِ وَأَنْزَلْنَـا الْحَدِيـدَ فِيـهِ بَأْسٌ شَـدِيدٌ وَمَنَـافِعُ لِلنَّـاسِ وَلِـيَعْلَمَ اللَّهُ مَـنْ يَنْصُـرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

قـال شـيخ الإسـلام رحمـه الله: "ولـن يقـوم الـدين إلا بالكتـاب، والميـزان والحديـد، كتـابٌ يهـدى بـه، وحديـد ينصـره... فالكتـاب بـه يقـوم العلـم والـدين، والميـزان بـه تقـوم الحقـوق فى العقـود الماليـة والقبـوض، والحديـد بـه تقـوم الحـدود علـى الكـافرين والمنـافقين" [مجموع الفتـاوى: ٣٥ / ٣٦].

ولا شـك أن زماننـا قـد عظـم فيـه الخطـب، وتفاقمـت معـه الـدواهي، واسـتطارت فيـه الشـرور، وأقبلـت جمـوع الفـتن ينسـي آخرهـا أولهـا، وهـو مـا يزيـد العلمـاء عبئـاً علـى عبـئهم، وأمانـة فـوق أمـانتهم، ويحتم علـيهم أن يكونـوا وسـط تلـك البحـار المتلاطمـة، والنـوازل المتزاحمـة، يرشـدون ويعلمـون ويفقهـون ويأمـرون وينهـون بـل ويقـودون، ولـيس هـذا مـوطن النـأي، ولا الانكفـاف والاسـتنكاف، ولا العزلـة وسـكنى الشِـعَاب! وقـد بـيّن القـرآن أن مـن أهـم واجبـات العلمـاء هـو تسـخير علمهـم لتفقيـه المجاهـدين وتعلـيمهم، وأن أصـل تفـرغهم ينبغـي أن يكـون لـذلك، ولكـن لا يوقـف الجهـاد ولا يعطـل العلـم، بـل يقـوم هـذا بواجبـه مـن الـدفاع عـن الـدين ونشـره في ربـوع الأرض وحمايـة بلـدان المسـلمين ويقـوم هـؤلاء بتفقيـه المجاهـدين وإمـدادهم بمـا يحتاجونـه مـن الفتـاوى والفقـه، فكـل مـن يحـاول أن يصـادم العلـم بالجهـاد فيعطـل أحـدهما بسـبب الآخـر ففعلـه منـاقض للإرشـاد الـرباني الـذي جـاء في قولـه تعـالى: ﴿وَمَـا كَـانَ الْمُؤْمِنُـونَ لِيَنْفِـرُوا كَافَّـةً فَلَـوْلَا نَفَـرَ مِـنْ كُـلِّ فِرْقَـةٍ مِـنْهُمْ طَائِفَـةٌ لِيَتَفَقَّهُـوا فِي الـدِّينِ وَلِيُنْـذِرُوا قَـوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُـوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

قـال الإمـام ابـن القـيم رحمـه الله: "إن الآيـة تكـون قـد اشـتملت علـى بيـان حكـم النـافرين والقاعـدين، وعلـى بيـان اشـتراكهم في الجهـاد والعلـم، فالنـافرون أهـل الجهـاد والقاعـدون أهـل التفقـه، والـدين إنمـا يـتم بالجهـاد والعلـم، فـإذا اشـتغلت طائفـة بالجهـاد، وطائفـة بالتفقـه في الـدين، ثم يعلـم أهـل الفقـه للمجاهـدين إذا رجعـوا إلـيهم حصـلت المصـلحة بالعلـم والجهـاد وهذا الأليق بالآية والأكمل لمعناها" [بدائع الفوائد: ٤ / ٩٩٥].

وحينما يكون الجهاد فرض عين –كما هو اليوم- يجب أن تكون من أولى مهام أولي العلم، تحريض المسلمين عليه، واستنفارهم إليه، وتأييدهم للمجاهدين، وحض المسلمين على إعانتهم والدعاء لهم ونشر محاسنهم، ورفع همم المنكسرين، وتثبيط عزائم الكافرين، وبيان خبثهم ومكرهم، وفضح دسائسهم، والتحذير من كيدهم، حتى تكون حلقة الجهاد والعلم متصلة، وجهودهما متكاملة، وهذه هي علاقة العلم بالجهاد.

فحين ننشغل بالدعوة إلى الله وتعليم الناس وإرشادهم فلا ينبغي أن نخادع أنفسنا وندعي بأننا على ثغرة عظيمة من أجل التهرب من ثغرات أخرى أعظم كلفة وأشد خطرا مثل الجهاد بالسيف.. ولا بد من التنبيه إلى أن الدين لا يقوم على السيف دون الحجة ولا يقوم على الحجة دون السيف بل يقوم على السيف الذي تدعمه الحجة وعلى الحجة التي يحميها السيف (فقوام الدين بكتاب يهدي وسيف ينصر) فلا داعي إذن لمحاولة الفصل بين العلم والجهاد أو الاستعاضة بأحدهما عن الآخر لأن كلا منهما يدعم الآخر ويكمله، والمسلمون مطالبون بالجمع بينهما وعدم التفريط في أي منهما.. والدعوة بالبيان وإقامة الحجة لا تقتضي أبدا ترك الجهاد بالسيف.

قال شيخ الإسلام بن تيمية: "وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ وقوله: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ليس في القرآن ما ينسخهما، ولكن بعض الناس يظن أن من المجادلة ترك الجهاد بالسيف.. وكل ما كان متضمنا لترك الجهاد المأمور به فهو منسوخ بآيات السيف" [النبوات: ١ / ١٥٧].

الشبهة (١٣): قعود أكثر العلماء عن الجهاد وأنهم ما قعدوا إلا لمصلحة رأوها في القعود!!

والجواب: إن الصحابة رضي الله عنهم والسلف الصالح كانوا يتعلمون سنة محمد صلى الله عليه وسلم ويبحثون عن أحاديثه ومع ذلك فهم يجاهدون في سبيل الله وإذا نادى منادي الجهاد (يا خيل الله اركبي) رأيتهم في أول الصفوف! ولكن مشكلتنا في هذا العصر أن علماءنا الذين تعلمنا على أيديهم لم ينفروا للجهاد وقصروا في هذا الجانب فكل من تعلم على أيديهم اكتسب هذه الصفة وهو لا يشعر ولا حول ولا قوة إلا بالله..!

قال شيخ المجاهدين أسامة بن لادن رحمه الله: "ليس بالضرورة أن يكون التأخر عن الجهاد ناتجاً عن معرفة بالمصلحة، فعند تدبر كتاب الله عز وجل نجد أن خيار الأمة وهم الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم قد عاتبهم الله سبحانه وتعالى على التأخير.. فإذا الخيار الأبرار الأطهار رضي الله عنهم أصابهم هذا الداء داء التأخر عن الجهاد فكيف تزعم اليوم لكبارنا أنهم يتأخرون لمصلحة؟! الله سبحانه وتعالى في سورة الأنفال قال مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم وهو خير الناس رضي الله عنهم ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ المؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ [الأنفال: ٥].

هذا الوصف جاء لخيار الناس رضي الله عنهم أهل بدر فهو داء يصيبنا، وهذا كعب بن مالك رضي الله عنه كما في الصحيحين في الحديث الطويل يقول يوم تبوك: تخلفت وما كنت أيسر حالاً مني يومذاك وما ملكت راحلتين إلا في تلك الغزوة وقلت لنفسي: اليوم أتجهز، ويمضي اليوم ولم يجهز من أمري شيء ويقول: نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد عندما أينعت الثمار وكنت إليها أصعر (أي أميل إلى الثمار) فالإنسان بشر تتجاذبه أثقال الأرض وهو من هو رضي الله عنه؟! من السابقين الذين أخذوا بيعة العقبة الكبرى المباركة التي منها انطلقت دولة الإسلام في المدينة المنورة... تأخر غزوة، ثم جاء في حديثه الطويل أنهم كانوا ثلاثة كما في كتاب الله ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ [التوبة: ١١٨].

والروايات من السيرة أن الذين خرجوا إلى تبوك ثلاثون ألفا.. ما نسبة ثلاثة من ثلاثين ألفاً رقم لا يذكر! ومع ذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهجرهم! ولعظيم الذنب أنزل الله سبحانه وتعالى من فوق سبع سماوات قرآنا يتلى إلى يوم القيامة في حساب هؤلاء – فيقول كعب بن مالك رضي الله عنه – فلما ضاقت علي الأرض بما رحبت تسورت حائطاً لابن عمي أبو قتادة وكان أحب الناس إلي وقلت: يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلم أني أحب الله ورسوله؟! أمر خطير جداً أراد أن يطمئن على إيمانه على أعظم ما يملك في الوجود حب الله وحب الرسول صلى الله عليه وسلم وإلا لا معنى لوجودنا بغير حبهما حب الله وحب الرسول صلى الله عليه وسلم قال: لم يجبني قال: فناشدته الثانية، قال: لم يجبني قال: فناشدته الثالثة قال: لم يجبني فلم يستطع أبو قتادة رضي الله عنه أن يثبت له محبته لله ورسوله عليه الصلاة والسلام كيف يثبتها وهو قاعد مع الخوالف؟! هذا رسول الله

صلى الله عليه وسلم خرج في الحر والحرور لنصرة الدين وأنت جالس عن نصرته فكيف يثبت له؟! فلم يثبت له محبة الله والرسول صلى الله عليه وسلم ولم ينفها عنه ولكنه قال: الله ورسوله اعلم! فيقول كعب بن مالك: فتوليت وفاضت عيناي".

الشبهة (١٤): الأخطاء عند المجاهدين! أيها القاعدون: إن حرمة المجاهد وأهله عظيمة عند الله عز وجل وعند المؤمنين قال صلى الله عليه وسلم: (إن حرمة المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم! وأيما قاعد يخلف مجاهدا في أهله ثم يخونه فيهم إلا أوقف له يوم القيامة فيقال له خذ من حسناته ماشئت! فما ظنكم؟!) [رواه مسلم].

وعن أبي هريرة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إن العبد يتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب) [رواه البخاري ومسلم].

وفي رواية البخاري: (أبعد مما بين المشرق) من غير ذكر (المغرب)، ومعنى (يتبين): يتفكر في أنها خير أم لا؟

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقي لها بالا، يرفع الله تعالى بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم) [رواه البخاري].

وعن بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله تعالى له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله تعالى بها سخطه إلى يوم يلقاه) [رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

وهذا لا يعني عصمتهم! فالمجاهدين كغيرهم من البشر يجتهدون في طلب الحق والقيام به فيُصيبون تارة ويخطئون تارة، ولا يدَّعون لأنفسهم عصمةً في قول ولا فعل، بل يعتريهم من العوارض والنقص ما يعتري غيرهم من البشر، وهم ما استرخصوا نفوسهم، وهجروا ديارهم وأوطانهم، وتحملوا العناء والبلاء، وصاحبوا السهر والكد، إلا طلباً لإرضاء الله تعالى ونصرة لدينه وكبتاً لأعدائه، والأخطاء لا يمكن أن يسلم منها عاملٌ لدين الله تعالى،

وخاصة الجهاد في هذا العصر حيث تداخل الأمور وتفرعها وتشعبها وصعوبة واقع ساحات الجهاد وغير ذلك من الأسباب المعلومة، فلا ريب أن ذلك يؤدي إلى الوقوع في كثير من الأخطاء تكبر حينا وتصغر أحياناً ولكنها لا تنعدم انعداماً تاماً، ومثل هذه الأخطاء لم يسلم منها زمن من الأزمنة حتى في خير القرون وفي غزوات خاضها وقادها الأتقياء الأنقياء، والعلماء الأمناء من الأمراء والمأمورين زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وكل ذلك لم يوجب تشنيعاً ولا تبشيعاً ولا تشهيراً ولا تعييراً ولا ازدراءً ولا انزواءً ولا (دعوة) لإيقاف الجهاد و (منع الصدامات) ولا عزلاً للقادة الذين وقعت تلك الأخطاء على أيديهم، بل قدِّمت لهم النصيحة بما يليق بجهادهم ومكانتهم وبُيِّن لهم الحق الذي خالفوه وبقيت قيادتهم وريادتهم واستمروا في جهادهم ومقاتلة أعدائهم....

ونكرر مرة أخرى: لا نعني بذلك أيضاً تبرير الأخطاء ولا إقرارها حينما تقع والتهاون في تصحيحها والمناصحة في تلافيها وتفاديها.. **ولكن لا يُقبَل أن تُجعل متكأ يستند إليه كل من أراد تعطيل الجهاد والفرار من ساحاته والتنصل من تبعاته بحجة أنها مليئة بالأخطاء والإختراقات وأن المجاهدين هم جهلة أغرار!** فقد تقع بعض الأخطاء بل بعض الخيانات مما لا يسلم منه جيش مهما بلغت نزاهته! فقد كان في جيش محمد صلى الله عليه وسلم منافقون، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠١].

ولما خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى أحد رجع عبد الله بن أبي المنافق بثلث الجيش! فماذا يقال في قيادة ذلك الجيش أتراها أخطأت الحسابات؟! حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرد في حقه ذلك لكنه بشر من البشر قد يقع له ما لم يعلم أن سيقع.

فإذاً لا يُعد ما وقع من خيانات وأخطاء في حسابات المجاهدين ولا ما قد يقع من ذمم قد تشترى كذلك، حسبهم أن يحاذروا ذلك ما استطاعوا وهم إن شاء الله فاعلون.

وقد قال الله في الصحابة رضي الله عنهم ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

فمـا لنـا نتطلـب في هـذا الزمـان جهـاداً ومجاهـدين أنقـى وأتقـى ممـا كـان في ذلـك الجيـل المثـالي؟! فـنحن إذا دافعنـا عـن المجاهـدين لا يعـني أنهـم لا يخطئـون، كـلاَّ.. فالمجاهـد بشـر وخـير الخطـاءين التوابـون، والله تعـالى يقـول: ﴿يَا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آَمَنُـوا لَا تَتَّخِـذُوا عَـدُوِّي وَعَـدُوَّكُمْ أَوْلِيَـاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١].

فهـذا توجيـه رباني للمجاهـدين. وقـال تعـالى: ﴿أَوَلَمَّـا أَصَـابَتْكُمْ مُصِـيبَةٌ قَـدْ أَصَـبْتُمْ مِثْلَيْهَـا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وذلـك عنـدما خـالف الرمـاة أمـر النـبي صـلى الله عليـه وسـلم فاستشـهد مـن الصـحابة رضـي الله عـنهم سـبعون.. وممـا يبـين أيضـا مشـروعية نصـيحة المجاهـد وبيـان خطئـه مـا ورد عـن سـالم عـن أبيـه قـال: (بعـث النـبي صـلى الله عليـه وسـلم خالـد بـن الوليـد إلى بـني جذيمـة، فـدعاهم إلى الإسـلام فلـم يحسـنوا أن يقولـوا أسـلمنا، فجعلـوا يقولـون: صـبأنا صـبأنا، فجعـل خالـد يقتـل مـنهم ويأسـر، ودفـع إلى كـل رجـل منـا أسـيره، حـتى إذا كـان يـوم أمـر خالـد أن يقتـل كـل رجـل منـا أسـيره، فقلـت: والله لا أقتـل أسـيري، ولا يقتـل رجـل مـن أصـحابي أسـيره، حـتى قـدمنا علـى النـبي صـلى الله عليـه وسـلم فـذكرناه، فرفـع النـبي صـلى الله عليـه وسـلم يـده فقـال: اللهـم إني أبـرأ إليك مما صنع خالد مرتين) [رواه البخاري].

فلمـا أخطـأ خالـد رضـي الله عنـه قـال النـبي صـلى الله عليـه وسـلم كمـا مـر في الأثـر، ومـع ذلـك قـال صـلى الله عليـه وسـلم عنـه في إحـدى الغـزوات كمـا ورد عـن أنـس – رضـي الله عنـه – أن (النــبي صــلى الله عليــه وســلم نعــى زيــدا وجعفــرا وابــن رواحــة للنــاس قبــل أن يأتــيهم خـبرهم، فقـال صـلى الله عليـه وسـلم: أخـذ الرايـة زيـد فأصـيب، ثم أخـذ جعفـر فأصـيب، ثم أخـذ ابـن رواحـة فأصـيب، وعينـاه تـذرفان، حـتى أخـذ سـيف مـن سـيوف الله حـتى فـتح الله علـيهم) رواه البخـاري. فهنـاك فـرق بـين النصـيحة وبـين الإرجـاف.. هنـاك فـرق بـين التوجيـه والطعن.. هناك فرق بين النصيحة والتخذيل..

***ونختم بهـذه الشـهادات مـن – أعـداء الإسـلام – لشـيخ المجاهـدين (أسـامة بـن لادن) تقبلـه الله في الفـردوس الأعلـى... وهـذه الشـهادات لـه ولمـن هـو علـى منهجـه مـن المجاهدين الإرهابيين!**

- فلادمير بوتين رئيس روسيا: (هو مجدد الوهابية المحمدية الإرهابية المعاصرة).

-جورج دبليو بوش – رئيس أمريكا السابق: (هو الشر لحضارتنا النصرانية الليبرالية وعدونا الأول).

-توني بلير – رئيس وزراء بريطانيا السابق: (الداعم الأول للحركات الإرهابية في الشيشان وكشمير والفلبين).

-أرييل شارون – رئيس وزراء اليهود السابق: (الإرهابي المسلم الذي يريد قتلنا وإخراج أمريكا من مصالحها).

-كولن باول – وزير الخارجية الأمريكي السابق: (هو يسعى لتدمير مصالحنا في الخليج وتقويض حكوماتها الحليفة لنا).

-بيرلسكوني – رئيس وزراء إيطاليا السابق: (هو الخطر القادم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ضد حضارتنا الأوروبية).

أخي الحبيب ماذا تنتظر؟! عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه التقوى ها هنا بحسب امرئ من الشر أن يحتقر أخاه المسلم)، وفي رواية مسلم: (لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره).

وإن الله ناصر دينه وما نحن إلا حلقة في طريق النصر، وإنا والله منصورون بإذن الله بإحدى الحسنين إن نحن ثبتنا على الإيمان والإخلاص، نسأل الله الثبات.

والمجاهدون منصورون بإذن الله، سواء رأوا النصر بأنفسهم أو بمن ورائهم أو بما يجعله الله على أيديهم من الفتح والخير حتى وإن قتلوا عن آخرهم.

ولكن أنت أيها المؤمن؛ انظر موقعك وحدّد عملك وبادر بالجهاد بما تستطيع، فالخوف ليس على المجاهدين ولكنه والله عليك أن يصيبك ما حذر الله بقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ

كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "فهذه الفتنة قد افترق الناس فيها ثلاث فرق: الطائفة المنصورة: وهم المجاهدون لهؤلاء القوم المفسدين.

والطائفة المخالفة: وهم هؤلاء القوم ومن تحيز إليهم من خبالة المنتسبين إلى الإسلام.

والطائفة المخذلة: وهم القاعدون عن جهادهم، وإن كانوا صحيحي الإسلام.

فلينظر الرجل أيكون من الطائفة المنصورة أم من الخاذلة أم من المخالفة؟! فما بقي قسم رابع" [الفتاوى ١٤/٤٩٥].

وقال تلميذه ابن القيم رحمه الله: "وكفى بالعبد عمىً وخذلاناً أن يرى عساكر الإيمان وجنود السنة والقرآن وقد لبسوا للحرب لأمته وأعدوا له عدته وأخذوا مصافهم ووقفوا مواقفهم وحمي الوطيس ودارت رحى الحرب واشتد القتال وتنادت الأقران النزال النزال، وهو في الملجأ والمغارات والمدَّخل مع الخوالف.. فحقيقٌ بمن لنفسه عنده قدر وقيمة أن لا يبيعها بأبخس الأثمان وأن لا يعرضها غداً بين يدي الله لمواقف الخزي والهوان" [من مقدمة قصيدته: النونية؛ المعروفة بالكافية الشافية].

اللهم اجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه.. ونسأله جلت قدرته وتعالت أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يوحد صفوف المسلمين وأهل العمل للإسلام منهم خاصة، وأن ينصر بهم دينه ويعلي بهم كلمته، إنه سميع مجيب.، هذا والله أعلم... وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

بيت المقدس